قراءة عقائدِيّة

في سيرة الحوراء الإنْسيَّة

سماحة الشيخ عبدالله الطاهر النّمر

(حفظه الله ورعاه)

(مجموعة محاضرات ألقاها سماحة الشيخ في مناسبات

متفرّقة ترتبط بالزهراء عليها السلام تمّ تنظيمها في بحث واحد)

١٤٤٣هـ

جميع الحقوق محفوظة

الطّبعة الأولى – ١٤٤٣هـ

[١]

الحوراء الإنسيّة

قال عزَّ من قائل: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾[١]

نقل لنا الإمام الرضا عليه السلام ما رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وقد وردت الرواية في آمالي الصدوق وتوحيده والعلل أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (لما عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل عليه السلام فأدخلني

---

[١] الكوثر: ١-٣.

الجنة فناولني من رُطَبها فأكلته، فتحوَّل ذلك نطفة في صُلبي، فلما هبطت إلى الأرض و اقعت خديجة فحملت بفاطمة عليها السلام، ففاطمة حوراء إنسية، فكلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة)[1]. و ذُكِرت رو اية أخرى طويلة، سنذكر منها مورد الحاجة، عن أبي عبد الله، عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (خلق نور فاطمة (عليها السلام) قبل أن يخلق الأرض والسماء فقال بعض الناس: يا نبي الله فليست هي إنسية؟ فقال: فاطمة حوراء إنسية قالوا: يا نبي الله وكيف هي حوراء إنسية؟ قال: خلقها الله عز وجل من نوره قبل أن يخلق آدم إذ كانت الأرواح فلما خلق الله عزوجل آدم عرضت على آدم.

---

[1] الطبرسي، الاحتجاج، ج٢: ١٩١.

قيل يا نبي الله و أين كانت فاطمة؟ قال: كانت في حقة تحت ساق العرش، قالوا: يا نبي الله فما كان طعامها؟ قال: التسبيح والتقديس والتهليل والتحميد، فلما خلق الله عز وجل آدم وأخرجني من صلبه وأحب الله عز وجل أن يخرجها من صلبي جعلها تفاحة في الجنة و أتاني بها جبرئيل (عليه السلام) فقال لي: السلام عليك ورحمة الله و بركاته يا محمد! قلت: وعليك السلام ورحمة الله حبيبي جبرئيل، فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام قلت: منه السلام وإليه يعود السلام قال: يا محمد إن هذه تفاحة أهداها الله عز وجل إليك من الجنة. فأخذتها وضممتها إلى صدري، قال: يا محمد يقول الله جل جلاله كلها ففلقتها فر أيت نورا ساطعا وفزعت منه فقال: يا محمد ما لك لا

تأكل كلها ولا تخف فإن ذلك النور للمنصورة في السماء وهي في الأرض فاطمة قلت: حبيبي جبرئيل ولم سميت في السماء المنصورة وفي الأرض فاطمة؟ قال: سميت في الأرض فاطمة لأنها فطمت شيعتها من النار وفطم أعداؤها عن حبها...)[1] إلى آخر الرواية، يستفادمن هذه الرواية عدّة فوائد منها وصف رسول الله للزهراء عليها السلام بأنها حوراء إنسية؛ يعني أنها هي إنسية فعلاً و لكنها حوراء أولاً!، فللزّهراء بُعدان بُعد الحورية و بُعد الإنسية.

[1] العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٣: ٤.

المراد بالحوراء

أما في بُعدها الأول: ما معنى حوراء؟ يقال في اللغة العربية للمرأة حوراء أو العين الحوراء هي التي تكون شديدة السواد في شدة البياض فهو وصفٌ للعينين ولكننا لو تتبعنا أصل هذا اللفظ و مدلوله العميق في اللغة العربية نجد أن الحوراء و الحور والتحور هو من التردد و الحركة والحيوية والفاعليّة، والمحور والحوار أيضاً وكل الألفاظ التي تشتق من هذا اللفظ، تحمل هذا المعنى، فالمحور هو العمود الذي يدور حوله الأشياء فيتردد بتردد حركته، ففيه حيوية وحركة. والحوار هو الأخذ و العطاء أي فيه حيوية وحركة، فكل الألفاظ المشتقة من هذا اللفظ تعتمد على روح هذا المعنى. فالحوراء هو من عالم الحركة و الحيوية والإندفاع والوغول في أعماق الغيب وفي

أعماق هذا الوجود وهذا ما تدل عليه وتبرزه الروايات من العارفين بحقيقة هذا الوجود: أن الزهراء عليها السلام كان يغلب في طبعها و ذاتها حيثية الحيويّة والحركة، و لو أننا تتبعنا الروايات الصادرة عن أهل البيت عليهم السلام لوجدنا الكثير من المعاني التي تؤكد هذا المعنى. أُشيرُ إلى مجموعة من المعاني التي انطوت عليها الروايات من هذه الجهة، أي جهة الغيب في حياة الزهراء عليها السلام، ولا شك أن هاتين الروايتين اللتين ذكرتُهما بداية الحديث فيهما إطلالة واضحة على هذا المعنى في أن الزهراء عليها السلام في أصل تشكيلتها هي من ثمر الجنة و الروايات في هذا المعنى كثيرة مع اختلافها في كونها جيء لرسول الله صلى الله عليه وآله بتفاحة من الجنة والرواية الأخرى ذكرت الرطب بدلاً من التفاحة، و لعل في ذلك

إشارة إلى أن المسألة ليست مسألة تفاح أو رطب بمقدار ما هو ثمر من ثمار الجنة تختلف فيه التسميات و الحيثيات.

بعض جوانب الغيب في شخصية الزهراء عليها السلام

١/ إنها فاطمة عليها السلام

الرواية الأخرى التي تشير إلى جهة من جهات الغيب فيها سلام الله عليها أن نورها سابق لخلق الأرض و السماء كما نصّت عليه كثير من الروايات منها ما أوردناه قبل قليل. و منها أنها سلام الله عليها في كل شؤونها غيبية حتى في اسمها فاطمة فقد علم الله ما كان قبل أن يكون و ما يكون فسماها فاطمة. الذي وضع هذا الاسم لفاطمة هو الله جل و علا تبعاً لعلمه بما كان وما يكون، نحن في حياتنا الإنسية نضع الأسماء للمسميات اعتباطاً وجعلاً

و افتراضاً، فنسمي هذا محمد وذاك حسن وذاك علي وليس من الضرورة أن يكون هناك حُسنٌ في حَسَن أو عُلوٌ في عَلي أو أن يكون محمد محمود في حقيقته و إنما نجعل هذه الأسماء تيمُّناً وتبركاً ورغبةً في أن يكون هذا الاسم دافعاً للمسمى أن يكون على اسمه، ولكن بالنسبة للزهراء عليها السلام كما ورد هذا المعنى أيضاً في حق بعض الأئمة و الرسول صلى الله عليه وآله من أن هذه الأسماء كاشفة عن حقائق تكوينية و اقعية ففاطمة عليها السلام إنما سميت فاطمة بجعلٍ إلهيٍ تكويني؛ لأن الله علم بما كان قبل أن يكون فسمّاها فاطمة لتفطم محبّيها عن النار و تفطم باغضيها عما طمعوا فيه فهي فاطمة في و اقعها و تكوينها. بل أكثر من ذلك تقول الروايات إن لها عند الله تسعة أسماء، فاطمة إنما هو واحد من هذه

الحقائق التكوينية الموجودة في هذه الذات النورانية، لها من الأسماء عند الله في سماواته العالم بحقائق الأمور، و ليست القضية مجرد توزيع أسماء و ألفاظ وإنما هناك حيثيات و اقعية تكشفها هذه الأسماء التي نتداولها نحن فلها عند الله من الأسماء تسعة فهي فاطمة والرضيّة والمرضيّة وبقية الأسماء التسعة، وأن الله جل و علا علم بعلمه الغيبي أنَّ لولا علي ما كان لها كفو. لولا أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الوجود ما كان كفؤ للزهراء، فلولا علي لما كان للزهراء أُنس ولما كان لها كفو و قرين.

٢/ الطّاهرة

أن الله جل وعلا بعلمه في الميثاق دفع عنها الطمث كما في الرو ايات وهذه أيضاً حقائق تكوينية وهي في علم الله جل و علا.

٣/ المُصطفاة المرضيّة

من جوانب الغيب في حياتها أنّ الله اجتباها و اصطفاها من جميع نساء العالمين و أن رضا الله رضاها و سخطه سخطها. هي صاحبة اللوح والمصحف والتسبيح وغيرها الكثير من المؤشرات على جهة الغيب فيها فهي من عالم الغيب في فكرها و روحها و مشاعرها.

مناهج دراسة الجانب الغيبي للزهراء عليها السلام

هناك فرق كبير بين أن نسمع أن للزهراء عليها السلام و اقع غيبي وبين أن نرى ذلك، إنّ الذين عاشوا في تلك الفترة قد رأوا منها مظاهر الغيب، حيث تذكر الروايات أنّ أهل المدينة كانت تلحظ تغيُّر الواقع والفلك حتى أن أنوار الزهراء كانت تشع على جميع

أنحاء المدينة فكانوا يأتون إلى رسول الله يسألونه عن هذه الظاهرة التي يرونها بأمّ أعينهم من هذا البدر الساطع أي من الزهراء عليها السلام و هم لا يدركون من أين يأتيهم هذا النور، هذه الحقيقة أدهشت كثير من الناس بل أوقعت كثير من المفكرين والعلماء في مخمصة فهم هذا الكائن هل هو إنسي أم أخروي أم أرضي أم سماوي، وهذا ما فتح باباً واسعاً لأصحاب القلوب المريضة الذين حاولوا أن يجرّدوا الزهراء من إنسيتها فكُتبت كتب ونُقلت روايات عن أنها لها من الغيب كذا وكذا وهذه طبيعة الإنسان التي تميل في كثير من الأحيان إلى المزايدة والمغالاة ورفض الواقع والحقيقة.

الزهراء عليها السلام هي في عين كونها من عالم الغيب إلا أنها انطلقت من عالم الأرض، هي حوراء و لكنها إنسيّة. أيضاً هناك توجه مقابل الأول، أي حاول أن يجرد الزهراء عليها السلام من عالمها الغيبي طلباً للبقاء على بعدها الإنسي وهذا أيضاً غير صحيح حيث ذهب بعض العلماء إلى أن الزهراء عليها السلام ليس متصور منها كل هذا المعنى من الغيب فإن في ذلك تجريداً لبُعدها الإنسي. فليس مألوفاً من الإنس أن يكون بهذا المستوى من الغيب ولعلّ مشكلة هؤلاء أنه استعصى عليهم فهْم قدرات الإنسان ومُكنته بل إنه استعصى عليه فهْم هذا العالَم، من قال أن هذا العالم هو في حدود ما تدركه و ما تراه أنت أيها الانسان؟!؛ بل لنتكلم

عن أنفسِنا: من قال أن هذا العالم هو في دائرة ما ندركه و مانراه و مانحسّه؟!

الزهراء الإنسية

لعلّ الأنس بالحياة المادية و المعايشة مع هذا الواقع المادي هو الذي كبَّل إدراكاتنا وحدَّدَها من أن نفهم هذا العالم على ما هو عليه، إنَّ هذا العالم أبعد ممَّا نراه مادياً ولكن نحتاج إلى أن نكسر القيود الإدراكية و نزيل الثقل الذي حدَّ من قدراتنا على درك حقائق الوجود.

هذا الوجود مليء بالملائكة والأرواح والغيب والعقول المجردة، إنه يدار من قبل الله جل وعلا من خلال السماوات السبع والكرسي والعرش والقلم والملائكة، كل هذه الوجودات

تعيش بيننا وفينا ومن خلالنا ولكننا اقتصرنا في إدراكاتنا على حدود المادة!. من هنا فإننا لا نشعر بحقيقة هذا الوجود، إن كل هذه الأجزاء الوجودية المجردة من المادة بل حتى الماديات مثل النبات والحيوان بالإضافة إلى الإنسان الملائكة، كلها تسير في انطلاقة وجودية باتجاه الله جل وعلا. يقول الله عزوجل ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبيحَهُم﴾[١] كل هذا الوجود يسير سيراً متناغماً لله وفي الله، هذا في عالم المادة وعالم النبات والحيوان، أما في عالم الإنسان فالإنطلاقة فيه أوسع والحركة فيه أرحب ولكن تحتاج إلى روح حية وحيوية وإلى روحية وإحساس نابض. إننا نحتاج إلى أن نتجرد ممّا نعيشه مستويات

---

[١] الإسراء/٤٤.

الغفلة والسهو والإنقطاع إلى عالم المادة. هناك عالم أوسع وأرفع وألذّ وأجمل و أبهى، عالم لو تعاملنا مع منطقِه -وهو عالم الغيب والروح والله والملائكة- لانفتحت أمامنا آفاق و نو افذ المعرفة، كل إنسان تنتابه أنحاء من التعاطي مع ذاك العالم ولكن التكالب على الملذات والإنشغال بها هو ما يقيّدنا، لماذا نحاسب الزهراء عليها السلام في حدود إدراكاتنا و قدراتنا، و إذا لم ندرك هذه العوالم من الغيب نقول أنه لا يمكن أن يبلغ الإنسان تلك المقامات؟! إن في الإنسان قابلية وطاقة واستعداد يمكِّنُه من بلوغ التعامل مع الملائكة وأن يعيش مع العرش، وأن يتقدم حتى على الملائكة القدّيسين والمسبِّحين؛ بل إن الأئمة والزهراء سلام الله عليهم هم الذين علَّموا الملائكة التسبيح والتهليل، عندما

سبَّحت هذه الموجودات النورانية سبَّحت الملائكة و عندما قدَّسوا فقدست، إذن منهم تعلَّمَ الملائكة التسبيح والتقديس، فللزهراء عليها السلام هذا العالم الغيبي الواسع ولها هذا الاستعداد والأفق.

الزهراء عليها السلام: النموذج الأتم للمرأة المسلمة

إن للزهراء خصوصية تعطيها هذا الاستعداد و هي أنها المرأة الوحيدة ضمن المعصومين، ومن طبيعة الأنثى أن تكون أكثر رقّة وشفافيّة و أكثر عاطفة و أقوى انطلاقاً وأشدّ انفعالاً. إن هذه الخصوصية هي عامة في كل النساء و ليست هذه صفة إيجابية في كل الأحيان و إنما هي مُكنة و قدرة إن طوّعتها المرأة في اتجاه الخير انطلقت في اتجاه الخير، كما تقول الروايات أن

المرأة الصالحة خير من ألف رجل صالح، و لكن إذا انطلقت في اتجاه الشر فإنها تنطلق بنفس القوة في اتجاه الشر، فالمرأة الطالحة ليس لها قيمة، فالتراب أفضل منها.

الزهراء عليها السلام من حيث أنها معصومة و أنثى فإنها قد انطلقت في عالم الغيب والسماء حتى أن الرسول صلى الله عليه وآله الذي كان ينطوي على أطيب الرائحة والمشامّ، كان يقول إذا أحببت وأردت أن أتذكَّر ريح الجنة ضممتُ ابنتي الزهراء عليها السلام وشممتها فوجدت فيها رائحة الجنة، إذن رسول الله صلى الله عليه وآله إذا اشتاق إلى رائحة الجنة شم رائحة ابنته الزهراء عليها السلام فيجد فيها ريح الجنة، هذا من الجهة الغيبية للزهراء عليها السلام، لكن لها وجه آخر و هو أنها إنسية.

من خلال هذه الخصوصية نستطيع أن نخرج بنموذج أتم ومتكامل لشخصية المرأة بدراسة سيرة الزهراء سلام الله عليها، إذا كانت الحركة الإسلامية في يومنا تعيش القلق في وضوح الصورة لحركة المرأة الإجتماعية، وموقعها في ضمن الحركة الإنسانية فإننا من خلال هذه الشخصية النموذجية نستطيع أن نخرج بتصور متكامل عن حقيقة الزهراء عليها السلام، و لعل أجمل ما يمكن أن يصور لنا هذا البعد الرواية التي تقول أن رسول الله سأل أصحابه أنه ما خيرٌ للنساء؟ فاستعصى على أصحاب رسول الله ذلك، فدخل علي على الزهراء عليها السلام فسألها فقالت له: هلا قلت له أن لا ترى الرجال و لا يرونها الرجال، فرجع علي لرسول الله صلى الله عليه وآله وأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وآله -هذا

المضمون وجدته في أكثر من كتاب ولكن لم أجده بهذا التفصيل إلا في كتاب واحد- من أين لك هذا ياعلي؟؛ الرسول ﷺ يعرف أن هذا الجواب لا يأتي من غير فاطمة، فقال إنه من فاطمة؛ هكذا إدراك و جواب و هكذا وعي و معرفة إنه لا يكون إلا من خلال هذا الموجود الغيبي الذي يعرف كيف يسير بين الناس. إن هذه المعرفة و هذا الإدراك الإجتماعي الإنسي إنما هو الوجه الآخر لذلك البعد الغيبي إذ أن الأحكام والقوانين الشرعية وأغراض الدين في تقنينها لحياة الناس من عبادات ومعاملات كلها تصب في مصلحة أن تأخذ بيد الإنسان إلى عالم الغيب. فكلما ترقى الإنسان في عالم الغيب كلما كان أعرف بمقتضيات الأحكام الشرعية والتقنينات المادية بل إنهما في الحقيقة يصُبَّان

في مطلب واحد وهو: كيف يعرف الإنسان نفسه؟، ومتى ما عرف نفسه فإنه يسلك الطريق السوي والقويم ويتخذ المنهج الصحيح الذي من خلاله يسعد في دنياه ويبني أرضه فيسعد في الدنيا و الآخرة.

الزهراء كانت تمثِّل الأنموذج المتكامل في شخصية المرأة الو اقعية الحيّة التي تعيش على هذه الأرض لتنطلق من خلالها إلى السماء. هناك ثلاث عناصر أساسية تبني التصور الإسلامي العام تجاه شخصية المرأة المسلمة، العنصر الأول هو الرو ايات التي قد يُستظهر منها معاني مُعيَّنة سنشير إلى بعضها، والعنصر الثاني هو الو اقع الذي نعيشه في شأن الإنسان والذي يعطينا بعض الإضاءة في ما يجب أن تسلُكه المرأة، والعنصر الثالث هو

الدليل العقلي الذي يساهم في تشخيص المنهج السَّوِي. اختصاراً أقول أنه إذا كان الظاهر من الروايات من أن ملف المرأة يجب أن يعالج بنحو و إذا كان الواقع الميداني يأبى أن يعطينا صورة واضحة فإنه بلا شك أن هناك مسلّمات عقلية تكون حاكمة في ميادين شأن المرأة. إنه من المسلم عقلاً أن المرأة كالرجل و صنو الرجل في أنها وُجِدَت في مرحلة الدنيا لتسلك ما يسلكه الرجل في طريق الكمال و التعلم و الثقافة و الإحاطة بالعلوم الإنسانية. الزهراء عليها السلام مَثّلَت مجموع حصيلة هذه الدلائل الثلاثة في تشكيلة واضحة و مبيِّنة للمنهج القويم لشخصية المرأة وإن كان التاريخ قد قصَّر في إيصال الصورة التامة الناصعة لشخصية المرأة إلا أنه خدمنا بنقله بعض

خُطب الزهراء التي تحكي عن هذا التكامل في شخصية الزهراء عليها السلام.

لو نظرنا نظرة مختصرة في الخطبة التي نقلت لنا للزهراء عليها السلام في مسجد أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله نلاحظ أن الزهراء عليها السلام قد استعرضت الحركة الإسلامية في ذلك اليوم وكان هذا الاستعراض كاشف عن استيعاب بل معايشة لكل جزئيات الحركة مما يحكي عن وعي وفهم لروح الحركة ومقاصدها وأغراضها، وما واجهته هذه الحركة و كم كانت الزهراء عليها السلام تعيش و اقع وملابسات هذه الحركة. إن الزهراء عليها السلام ما كانت تتجاوز الثامنة عشر من العمر وهي تعي كل هذا الوعي وتعيش فهم الحركة الإنسانية والإسلامية ثم أنها استعرضت الأحكام

الشرعية، أركان الدين وفروعه و فصّلت كل فرع من فروعه كيف أثره وما موقعه وفلسفته وأغراضه، هذا العمق في الإدراك و الفهم و الاستيعاب يحكي عن شخصيّة متكاملة بل يحكي عن همّ رفيع. إنّ الزهراء عليها السلام ما كانت تعيش في دائرة المطبخ والبيت أو في دائرة الهمّ الشخصي؛ إنها كانت تعيش همّ الإنسانية و همّ الحركة الإسلامية التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وآله و هذا ما يكشف لنا كم أنها عانت وتأذّت وأحست بالألم الشديد بعد فقد رسول الله صلى الله عليه وآله. إن الزهراء في كل حياتها كانت تعيش ألم الرسالة و كان قلبها ينبض بهمّ الحركة الإنسانية تعيش همّ الإنسان في أبعاده وعلى مستوى هذا الوجود، وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد أُرسل رحمةً للعالمين فبلاشك أنها أمل الإنسانية في النجاة يوم القيامة

إن شاء الله و نحن مُحِبّوها أشد أملاً و تعلُّقاً بهذا الوجود النوراني أن يكون لنا منها نصيب في هذه الدنيا في معرفتها والأمل بها والتعلق بها وأن يكون لنا نصيب أيضاً في الآخرة في أن نحظى بشفاعتها ونظرتها لننجو من مهالك الآخرة والحمد لله رب العالمين.

[٢]

موقع المرأة في البناء الإنساني

عن الإمام الصادق عليه السلام: (ليس للمرأة خطر – أي قيمة- لا لصالحتهن ولا لطالحتهن، أما صالحتهن فليس لها خطر من الذهب ولا الفضة فهي خير من الذهب والفضة وأما طالحتهن فليس لها خطر التراب والتراب خير منها)[١]. الرواية تشير إلى موقعية المرأة من تركيبة وهندسة البناء الإنساني ولكي يتضح هذا المعنى لابد لنا من مجموعة نقاط ، نذكرها في ما يلي.

---

[١] الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٤: ١٧.

الانسان هو سرّ الوجود

المسألة الأولى هو إن سر هذا الوجود بكل معالمه ومراتبه هو الإنسان، أي أن الله سبحانه خلق كل الوجود متمحور حول الإنسان، جاء في الأحاديث القدسيات أنّ الله يقول: (عبدي خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي)[1].

من خلال إطلالة سريعة على العالم المادي سنجد سعته وضخامته. ولسعة هذا الوجود فالعلماء لا يستخدمون فيه المقياس العادي بل يقيسونه بسرعة الضوء، بل حتى سرعة الضوء يشككون في دقتها في القياس، و إلى الآن لم تستطع الإنسانية أن تستوعب هذا العالم الفسيح، هل يوجد في هذا

---

[1] الحر العاملي، الجواهر السنيّة، ٣٦١.

العالم الوسيع العظيم المترامي حياة؟ وإذا لم يوجد فيه حياة فإن علماء الفلك يتساءلون لماذا هذا العالم الكبير بكل هذه الأفلاك والمجرات؟!

إلا أنّنا نعتقد بأنّ كل هذه السعة هي فقط مرحلة من مراحل هذا الوجود!، فإذا كان الإنسان تدهشه هذه السعة، فكيف لو اطلع على العوالم الأخرى التي هي أوسع بكثير وأشدّ دهشة وتعقيداً! إنّ كل هذا الوجود وبكل آفاقه و أبعاده هو مسخر و مهيء ليو افق احتياجات الإنسان!. نحن قد ندرك بعض هذه الأفلاك وفو ائدها كالشمس والقمر وحركتها وكيف أنها في خدمة الإنسان، ولكن كيف لنا أن ندرك أن كل الوجود في خدمة الإنسان؟!.

يراد بالإنسان الكيف وليس الكم، هؤلاء البشر والموجودات الشريفة عند الله كم منها اهتدى وكم منها ذهب للشتات والضلال. قد يقول قائل أن الكم الأكثر من الناس هو الفاسد، فكيف تهيئ له كل هذه العوالم؟! نقول أنّ المؤمن أعز على الله تعالى من الكعبة المعظَّمة، وكل هذا الوجود يراد منه الإنتهاء لهذا الكيف المعدود والمحدود كمّاً أي (المؤمن) وقد زرع رسول الله ﷺ هذا المعنى في أنفس أصحابه، أن لا تلتفتوا للكَمّ وإنما التفتوا للمضمون. وقعت أحداث كثيرة كانت في حياة رسول الله ﷺ منها أنّ أحد الأصحاب أراد التصدُّق في موسم الحج ببعض الذبائح فسمع صحابي آخر بالخبر فتصدق بأكثر من الأول فشعر الأول بالإهانة فتصدق بأكثر من صاحبه،

وهكذا صارت حالة من المزايدة، فأمر الرسول ﷺ بحرق جميع الذبائح!، لأنها ميتة، بالرغم من الظروف الاقتصادية الصعبة والمجاعة التي كان يعاني منها المجتمع آنذاك، إلا أنّ رسول الله ﷺ قدّم حاجة الناس الروحية وجمال أرواحهم على حاجتهم للأطعمة بل اعتبر ذلك الطعام ميتة لايجوز أكله ومصيره الإحراق والإتلاف، فهو ﷺ يلفت للحسن الفاعلي وليس الفعلي.

يعني نحن البشر مفطورون على حب الجمال والحُسن ولذلك يعجبنا أن يقدم لنا الناس الجميل ويسيئنا أن يقدّموا لنا الإساءة والتعدِّي، لكن لا نلتفت إلى جمال الفاعل ولو بقدر التفاتنا إلى جمال الفعل، والسؤال : ما الفرق بين الحسن الفاعلي والحسن الفعلي؟

قد يقدِّم لك أحدهم هدية بسيطة -قلم أو وردة مثلاً- ولكن يضم معه الحب والمودة والإحترام، أنت لا تنظر للوردة بل للمحبة. وقد يقدِّم لك البعض هدية كبيرة وغالية لمعاملة بينك وبينه -أي ليس معها المودة والإحترام والحب والرحمة- ولذلك لا تُحدِث هذه الهدية وقعاً في نفسك كما أحدثته الهدية البسيطة الأولى، وهذا أمر طبيعي لأن الإنسان يلحظ جهة الفاعل وليس الفعل. من هنا لو كان الفاعل حسن وأراد فعل الجميل لك، لكنه أساء بالخطأ، فأنت لا تتأذى منه وهذا أمر طبيعي.

لذلك نجد القرآن يؤكد على الذات البشرية المؤمنة والمتقية، فالمعيار ليس الإيمان والتقوى كعناوين مستقلة بل المعيار هو المؤمن والمتقي، المؤمن أعز على الله من الكعبة. هذه

الروايات يجب أن نفهمها في ضمن هذه التركيبة الانسانية التي هي سر الوجود، والغرض هو كيفها لا كمّها.

موقعية المرأة والرجل في البناء الإنساني

هنا يأتي الفرق بين المرأة والرجل؛ المرأة لها خصوصية اللطف والجمال والسماحة والعشق بينما الرجل له جهة التعقل والرزانة، وهذين لونين من ألوان الجمال الإلهي الذي بثّه الله بين أبناء البشر. وهنا نفهم الرواية التي بدأنا بها الحديث، فالمرأة ليس لها قيمة إن كانت صالحة (إمرأة صالحة خير من ألف رجل صالح) لطبيعة المرأة و ربما بعض الرجال لهم خصائص، ولكن صلاح المرأة صلاحاً استثنائياً خاصاً لعدة أمور منها أنّ المرأة إذا صلحت فإنها تصلح بقوة وتتفاعل

بمستوى عالي وشديد مع الله سبحانه والقيم العُليا، مما ينعكس عليها وعلى من حولها بسمو الأخلاق وجمال الروح، بخلاف الرجل الذي إن اهتدى فإنه يهتدي بهدوء وتثاقل ثم إنه لا ينعكس صلاحه على الآخرين. كما أنّ المرأة بيدها هداية الإنسان وهذا ما يصعب على الرجل، الله جل وعلا من باب التطمين والأخذ بخاطر الرسول ﷺ يقول له : (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) ،(لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِر)، إن الأخذ بيد الناس من حال إلى حال هذه من مختصات الله سبحانه وتعالى. ولكن بمقدار ما تتجلى هذه الخصوصية في المرأة، فهي تستطيع أن تخلق الحب أو الضغينة، فالأم تقوم بعمل أشبه بالسحر أو الإعجاز في خلق هذه المشاعر في نفوس الأبناء، فإنّ الأم تقوم بزراعة خفية

سارية من روحها إلى أبناءها، إنها أشبه بمن يزيل جبل بإبرة بحيث قد لا يرى العابر ما تعمله الأم في هذه الصخرة الصماء، تستطيع الأم أن تزرع في نفوس أبناءها ما لا يستطيع أحد غيرها زرعه، وهذا ما لا يستطيعه الأب. نعم! للأب دور في التأثير على الأبناء و لكن ليس كالأم، فالأم تأثيرها ٨٠٪ مثلاً والأب ١٠ أو ١٥٪. هذا المستوى العالي في التأثير يرجع إلى خصوصيات الأم و المرأة. وهذا خلاف ما قد يظهر للكثير من أن الرجل هو المؤثر. قد لا يكون الزوج متديّن مثلا فيظهر البيت بظاهر يتبعه و لكن بمقدار ما تكون الزوجة جادة في صلاحها فإنها قادرة على زرع الصلاح في نفس الزوج فضلاً عن الأبناء، إذن الذي يغلب هو مزاج الأنثى و ليس الذكر.

الكمال الأنثَوِي

ثالثا الأنثى المعصومة أو العصمة الأثنوية، الروايات تؤكد على أنه كمُل من الرجال الكثيرولكن عندما نرى العصمة الأنثوية فالأمر مختلف، نجد معصومات من سن الصغركمريم عليها السلام. فهي حادة ومندفعة وسريعة، و أيضاً القوة والخلوص في هذا الإتجاه.

الأنبياء كثيرون والمخلصون من الرجال كثيرون و لكن العصمة في الأنثى تختلف، فالغيب في حياتها طافح وظاهر على الرغم من قلة الكاملات عدداً. من يقرأ تاريخ الزهراء عليها السلام لا يستطيع تجاوز صبغة الغيب والروح فيها بحيث كان يُبهر كل من تعامل معها، وكذلك مريم عليها السلام قد طغى غيبها على ابنها عيسى

عليهما السلام!، فالروحانية العميقة التي تميّز بها النبي عيسى على نبيّنا وآله وعليه أفضل الصلاة والسلام ناتج عن مريم عليها السلام التي هي إمرأة. فقد تِلد ابنا روحانياً بلغ من الروحانية إلى درجة أنه يحيي الموتى ويشفي المرضى، وهذا بخلاف رسالة نبي الله موسى عليه السلام الذي جاء ليؤسس دولة.

الزهراء عليها السلام هي من تفاح الجنة أي أنها حورية حتى في تشكل مادتها وفي أصل تكوينها وقد كان البعد الغيبي الحوري فيها بارزاً، هذا ما أدهش سلمان الفارسي الذي كان يرى أنوار الزهراء عليها السلام على جدران المدينة ويرى الرحى تطحن لوحدها!. بالرغم من أن سلمان كان يبهِر الآخرين بجانبه الروحي ولذلك بعد أن آخى الرسول صلى الله عليه وآله بينه وبين أبي ذر أوصاه أن يَرفِق بأبي

ذر. سلمان الذي له هذا المقام ما كان يتحمل مقامات الزهراء عليها السلام الغيبية.

إنّ الزهراء عليها السلام حوراء إنسية إلا أنّ البعد الروحي فيها أقوى ولذلك تحدثت الروايات كثيراً عن معاجزها.

و من هنا نفهم لماذا رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقوم إجلالاً لها عليها السلام، ويشُم ريحها ويقول هو ريح الجنة. إنّ كل ما في هذا الوجود من جمال ومن خير وبَرَكة هو من رسول الله صلى الله عليه وآله و رسول الله صلى الله عليه وآله يقول للزهراء عليها السلام إنه يشم فيها ريح الجنة!. إذن كم هذه الرائحة فوَّاحة و عالية، بحيث أنه صلى الله عليه وآله يجد فيها رائحة جديدة ما كان يجدها لولا الزهراء عليها السلام. هذا قمة الكمال الإنساني، وهو

أن يكون هناك أحد يقدم لرسول الله ﷺ شيئاً ولو رائحة. إنّ الزهراء عليها السلام هي النموذج الأكمل في مجال العصمة الأنثوية.

الخلاصة أنه وإن كان الكم القليل من النساء صالحات إلا أن الكيف هو الأهم وهو متيمّزعند المرأة بالخصوص لأنها لو أقبلت على عالم الصلاح والفضيلة، فإنها تُقبل بكلِّ كيانها وتؤثر تأثيراً عميقاً مُبهِراً مُعجزاً على كل من حولها، والحمد لله ربِّ العالمين.

[٣]

آفاق من العطاء الفاطمي

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [١]، هناك مبنى عام عند المفسرين و هو ما يصطلح عليه بالجَرْي يعني أنّ القرآن الكريم عندما يتكلم عن شيء فإنه يَجْرِي في موارد كثيرة، مثلاً الكوثر هنا هو الكثير، و هو نهر في الجنة و هو عطاءٌ كثير، وكل ما ينطبق عليه العطاء الإلهي الكثير فهو كوثرٌ، نعم! هناك موارد واضحة جليّة وبارزة،

---

[١] الكوثر/ ١ – ٣.

فالروايات تطبّقه في تلك الموارد، أبرزو أجلى معاني الكثرة هو في حق الزهراء سلام الله عليها، فماذا يعني أن الزهراء كوثر؟

سبب نزول سورة الكوثر

الكثرة من حيث النسل و بركة النسل فهذا واضحٌ و لعل هذا ما يو افق سياق الآيات فقد وردت الآيات في مورد الرد على من وصف الرسول ﷺ بأنه أبتر منقطع الآخِر، فأثبت الله سبحانه عكس ذلك بإعطائه الزهراء عليها السلام التي كانت مفتاحاً إلى كثرة النسل، لكن هناك جهة أخرى أرغب في إبرازها لأنّ عطاءات الله على رسوله ﷺ من خلال فاطمة الزهراء عليها السلام كثيرة، هنا سنشير إلى زاوية ضيقة جداً من هذه العطاءات العظيمة و لإبرازهذه الجهة، لابد من ذكرعدة مقدّمات:

لماذا الزهراء عليها السلام هي الكوثر؟

١/ تطلعات البدن و الروح

للإنسان بدن وروح ولكل منهما تطلُّعات، تسمى احتياجات الجسم غرائز فهو يحتاج أن يأكل و يشرب و ينكح وينام ويتطلب الملائمات لبدنه، هذه التطلعات الغرائزية التي وهبها الله للإنسان والتي يشارك فيها الحيوانات، كل الحيوانات تهتدي إلى احتياجاتها الغرائزية بدون تعليم، إلا أنّ الإنسان يتمتع أيضاً بنوع آخر من التطلعات وهي التطلعات الروحية، فهو يحتاج إلى الأمن والأمان والكرامة والرفعة والشرف.

لكن هذه التطلعات الروحية تختل ببعض التطلعات الغرائزية حيث أنه في بعض الأحيان يجعل الغريزة هي الأصل و

يتصور أنها أهم من تلك التطلعات وأنَّ تلك التطلُّعات الروحية تابعة لها، من هنا فإنه لا يهتدي إلى التطلعات الروحية بجهده الذاتي في كثير من الأحيان. و هنا يأتي دور هداية الأنبياء و الرسل عليهم السلام، بل إن الإنسان بحاجة إلى الهداية حتى في بعض الاحتياجات الغرائزية!، قد لا يهتدي إلى سبيلها بنفسه، مثلاً إذا شعر أحدنا بالعطش، ماذا يصنع؟ يشرب ماء، من قال له أنَّ شُرب الماء يرفع الشعور بالعطش؟ هذه حركة غرائزية، الطفل منذ الولادة عندما يشعر بالجوع فإنّ غريزته تهديه إلى أن غذاءه في صدر أمّه، و لكن قد يتفق بعض الأحيان أن يحتاج الإنسان إلى أهل الخبرة في بعض الاحتياجات الغرائزية، مثلاً شخص عنده حساسية من طعام معيّن وهو لا يعلم و كلما أكل ذلك

الطعام ازدادت عنده الحساسية و هو لا يعلم بالربط بين ذلك النوع من الطعام وبدنه، هنا يذهب إلى خبير بطبائع البدن فيقول له أُترك الطعام الفلاني لِيَسلَم بدنك، هنا الطبيب يهديه إلى ما يحتاجه، لكن هذه الهداية لابُدَّ لها من خبير.

٢/ الروح لا تكتمل إلا بالهادي الخبير

حركة الإنسان التكاملية الروحية كلها من هذا النوع أي أنها تحتاج إلى خبير، حتى في أبسط الأمور التي نتصور أننا نحن اهتدينا إليها، مثلاً اليوم طريقة اللباس الذي نلبسه هو هداية إلهية، وصلتنا عن طريق أناس أدركوا هذه الأمور بجهدهم و نقاء فطرتهم، إبراهيم عليه السلام أخذ بيد البشرية في هذا المجال درجات، لولا نبي الله إبراهيم عليه السلام صاحب الوصايا العشر لبقينا متأخرين

كبقية الحيوانات، هو أول من اهتدى إلى سبيل الرِّفعة في بعض الأمور التي اهتدت البشرية تبعاً لهدايته، اهتدى إليها بنقائه و صفائه و توحيده فأخذ بيد البشرية إلى درجات التكامل و هذا هو مسلك كل الأنبياء عليهم السلام.

لكن الأُمَم التي لم تطالها الهداية النبويّة نراهم إلى اليوم لايزالون يعيشون عُراة قذرين يأكلون النتن و الدود، كذلك المريض الذي يشعر بألم لكنه لا يهتدي إلى كيفية رفع تلك الأسباب التي تُسبِّب له الألم، هذا موجود في طيات التاريخ.

نحن اليوم نعيش أشكال من الآلام و المشقَّات، مشاكل أُسَرِيّة و إرباكات إجتماعية وخلافات، كل هذه الآلام ناتجة عن عدم اهتدائنا بالزهراء عليها السلام و هنا محل الشاهد.

٣/ الزهراء عليها السلام هي الخبيرة بواقع التشيع المطلوب على المستوى الشخصي والأُسَري

لاحظوا القصة التي تنقل أنّ الرسول صلى الله عليه وآله كان في مجلس مع أصحابه فسألهم ما هو أصلح شيء للنساء، كان في أولئك الرجال من الطيبين الطاهرين مثل أمير المؤمنين عليه السلام وسلمان وغيره، وفيهم الجهلة، فلم يجب أحداً!، فذهب أمير المؤمنين عليه السلام إلى خزانة الأسرار الزهراء سلام الله عليها فقالت له: ماذا قال لكم رسول الله صلى الله عليه وآله؟، كعادتها تسأله دائماً عن مجريات مجلس النبي صلى الله عليه وآله فيعطيها أمير المؤمنين عليه السلام علوم الرسول صلى الله عليه وآله، هنا قال لها اليوم الرسول صلى الله عليه وآله سألَنا سؤالاً، فلم نعرف الجواب، سألت: ماذا سألكم؟، قال: سألنا ما هو أصلح شيءٍ للنساء؟.

من الذي يهتدي إلى هذا المعنى؟ روح الزهراء عليها السلام و نقائها هي التي اهتدت إلى ذلك، و رسول الله صلى الله عليه وآله يعرف مقامها ويريد أن يُبرز مقامها فيدع الأمور تسير بهذا الإتجاه، الزهراء عليها السلام اهتدت إلى هذا الملاك العام لما هو الأصلح للنساء، وهو أن لا ترى الرجال و لا يراها الرجال.

سمعتم أيضاً بقصة الزهراء عليها السلام مع الأمير في أول الزواج عندما ناصف رسول الله صلى الله عليه وآله مهمات العلاقة الأسرية بينهما أن الدار و ما داخله في عهدة الزهراء عليها السلام و ما خارجه في عهدة الأمير سلام الله عليه ففرحت بذلك الزهراء عليها السلام فرحاً كثيراً، لأن هذه المهام هي الأوفق بالاحتياجات الفطرية للمرأة، نحن عندما نقدس الزهراء عليها السلام إنما نشايعها بمقدار ما نهتدي بهديها،

الزهراء عليها السلام هي النموذج الأمثل والأصح؛ بل هي صاحبة المَنّ على كل امرأة بل على كل أسرة ذكوراً و إناثاً استفادوا و اهتدوا بهديها في سبيل تنامي الهدوء و الإستقرار الأُسَري بسب ما تجسّده نساءنا اليوم من حسن بعولة و سَكَن بيتِي و استقرار منزلي، هذا ليس من إبداعاتهم و جهودهم و ذكاءهم بل هو امتداد لما قامت به الزهراء عليها السلام.

إنّ الأُمم الخارجة عن هذه الهداية النورانية، يعيشون الألم و التمزق و القلق لكنهم يستنكفون الإقتداء بالزهراء سلام الله عليها!.

الزهراء عليها السلام هي نبراس هداية وهي التي قدَّمت للبشرية هذا العطاء النوراني العظيم الواضح في طبيعة تركيبة الإنسان

الأنثوي، هي المقدار المتيقن في العصمة الأنثوية، هي المعصومة في أسمى مراتب العصمة.

٤/ الزهراء عليها السلام هي الخبيرة بواقع التشيُّع المطلوب على المستوى الإجتماعي

في الوقت الذي قدمت فيه الزهراء عليها السلام للأسرة التركيبة الصحيحة، فإنها ساهمت في الحركة الإنسانية الإسلامية أيضاً، يعني أن حسن التبعل و البيتوتية لا يعني الإنكفاء عن الحركة الإنسانية العامة، هي ساهمت وجاهدت وفعلت وعاشت بمشاعرها وأحساسيها في الشأن العام وحملت هموم الإنسانية، فعندما ينتصر المسلمون تشعر أنها هي المنتصرة، وعندما ينكسر المسلمون هي تعيش هذا الهم و تتابع التفاصيل، بل قد خرجت

في بعض الأحيان إلى الساحة لتساهم بنحوٍ من أنحاء المساهمة بمقدار ما تسمح لها أنثوتها ولُطفِها وعِفّتها وحياءها بالمساهمة، هذا الجمع اللطيف بين ما هو ملائم لفطرتها واحتياجاتها ولطبيعة التركيبة الأُسريَّة والإنسانيَّة، هذا التوفيق بين هذه الجهة وجهة المشاركة العامة بِنِسَب دقيقة، تقدِّمُه لنا الزهراء عليها السلام هدية و بهذا تصبح هي مَنجَى الإنسانية في الحياة الدنيا، وهذا أفق من آفاق تجلي عطاءاتها لنا في الحياة الدنيا.

٥/بعض آفاق تجلي كوثريّة الزهراء عليها السلام في المحشر

هدية أخرى تُقدِّمُها لنا الزهراء عليها السلام في الآخرة و هي أنها تلتقط شيعتها يوم المحشر، هذا الإلتقاط هو نتيجة اتّباعنا

وتشيُّعنا لها اليوم!، حيث أن واقع الشيعة اليوم سوف يظهر و يبرز في ذلك اليوم ويتبين حقانية هذا التشيع وصدق الاتباع لها عليها السلام، حتى وإن كانت امرأة تعيش في أدغال أفريقيا ولم تسمع بالزهراء عليها السلام قط لكنها تهفو وتميل إلى نفس ما تميل إليه الزهراء عليها السلام، تتخلق بأخلاقياتها، لقد وصلتها هذه الآداب الفاطمية كما وصلتنا موروثات من النبي إبراهيم عليه السلام و ظننَّا أنها منّا، وهذا هو ديدن الإنسانية اليوم في التبادل الثقافي و العلمي، ما سلكته الزهراء عليها السلام انتشر في العالمين وهذا معنى الكوثر ومعنى العطاء الكثير، هذا مِن أسمى أنواع العطاء الفاطمي، أَنْ أَعطَت التشيع صبغةً إلهيةً روحانيةً و كل مَن يصطبِغ بها فإنه يصبح من شِيعتها في ذلك اليوم، وسوف تلتقطه الزهراء عليها السلام ،

يعرفها وتعرفه لأنه تجانس معها، إنّ الإلتقاط عملية طبيعية تحصل في الآخرة نتيجة ما نجسّده اليوم هنا.

أما ما ينتشر اليوم من محاولات زجّ المرأة بجرأة و اقحامها في الحياة العامة بشكل علَني و قوي، هذه الحال تربك المرأة نفسياً، وتجعلها تعيش حالة من القلق والاضطراب وتربك أُسرتها و مُجتمعها.

لنتأمل في أنَّ الزهراء عليها السلام لو وُلدت اليوم كيف ستكون؟ بعفتها وحيائها و فاعليتها و وعيها و عِلمِها، نسأل الله أن نكون من أتباعها و ندعو النساء –خصوصاً- إلى الدخول في هذا الإطار الفاطمي لأننا به ندخل في إطار التشيُّع الذي يضمن مَنْجاتَنا يوم المحشر.

[٤]

الزهراء كوكبٌ دُرّي

قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم﴾[١]

---

[١] النور/ ٣٥.

يقف علماؤنا عادة بين يدي هذه الآية وقفات مفصلة، يتأمّلون في دلالتها وإيحاءاتها، يقولون : (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض) هذا تمثيل، لأن الله عز وجل نور السموات ونور الأرض لا أنه مُنوِّر السموات والأرض.

١/ ما معنى (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض)؟

النور هو الظاهر في ذاته المُظهِر لغيره. نحن إنما نرى من الأشياء ما يُظهر لنا النور. النور هو المُظهِر للأشياء ولولا النور لما كنا نعرف ما هو موجود وما هو غير موجود، فالنور هو الظاهر في ذاته والبيّن في ذاته وهو المُظهِر في غيره والمبيّن لغيره.

النفس تدرك الأشياء إدراكاً مباشراً وتدرك الأشياء بالله، بالله عرفنا الأشياء وبالله وُجدت الأشياء.

الفرق بين النور وبين الله هو أن النور يُظهر الأشياء الموجودة والله يبين وينير لنا الأشياء بإيجادها، فالله هو أساس الأشياء وأوّل الأشياء و مبدأ الأشياء وهو أصل الخير ومنطلق الخير، وهذا النوع من التشبيه –كما يقال- هو عكس التشبيه الطبيعي؛ نحن عادة نشبّه الأشياء الأقل شجاعة مثلاً بالأكثر، الأقل قوة بالأقوى، فنقول هذا الإنسان يده كالحديد فالحديد أشد قوة من يد الإنسان، وهذا الإنسان كالأسد في الشجاعة ومن المعروف أن الأسد أكثر شجاعة من الإنسان، لكن في هذا المورد أي في الآية مورد البحث، نجد المسألة بالعكس؛ وقد استعمل القرآن هذا الأسلوب من باب تقريب الفكرة و توضيحها، فالله أشد نوريةً من النورولكن ليس بإمكان الإنسان

أن يأتي بشيء هو أشد من الله!، ولكن من حيث الإدراك والإظهار فإنّ أقوى شيء على إبراز الأشياء هو النور، فنقول الله نور و هو جلَّ و علا أقوى نورية من النور. لاحظوا أن النور يبين لنا الأشياء الموجودة بينما الله يبين لنا الأشياء بإيجادها، أصل وجودها هي من الله، (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ) المشكاة هي النافذة المغلقة التي لا تُطل على شيء، ففي البيوت القديمة كانوا يجعلون جدار به ما يشبه الحُفرة يوضع فيها جهاز الإضاءة كالمصابيح مثلاً وتسمى تلك النافذة مشكاة، إذن في هذه المشكاة مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب درّي... كوكب لامع مثل الدرّة.

الوقوف على جلالة هذه الآية بتفاصيلها كما يذكرها العلماء يخرجنا عن حديثا المتعلق بالزهراء عليها السلام، عندما تشير الآية الكريمة إلى أنّ الله نور السموات والأرض، ليس بمعنى أن الله أنار السموات و الأرض؛ بل أن الله أوجد السموات و الأرض، وليس فقط أوجدها، بل أوجدها نيّره يعني أن الله هو أساس كل نور.

٢/ العلاقة بين نورانية الله و نورانية الزهراء عليها السلام

قال الإمام الصادق عليه السلام: (فاطمة كوكب درّي بين نساء العالمين)[١] الزهراء عليها السلام في ذاتها كوكب درّي في هذا الوجود، طبعاً الزهراء عليها السلام كوكب درِّي للملائكة والرجال والنساء، ولكن

[١] تفسير فرات الكوفي، ج١: ٢٨٢.

في هذا المقام وفي هذه الرواية و من باب التشبيه تشير إلى أنها عليها السلام كوكب درّي للنساء. ماذا يعني هذا التشبيه؟ ماذا يعني هذا الإقتران ؟

قلنا إن الله نور السموات يعني هو الذي أظهر السموات و أظهر الأرض لكن ليس كما تَظهر الأشياء بالنور، فالنور يُظهر الأشياء بعد وجودها فهي مقترنه بالنور لكي تبرز وتظهر و تُشاهَد، فنحن نحتاج إلى النور لنتعرف على الأشياء الموجودة في الخارج، هذا بالنسبة إلى النور الذي يُظهِر الأشياء.

أما بالنسبة لله، فالأمر يختلف، إنَّ اللهَ يُوجِد الأشياء ويُحقِّقها فيكون ما عندها من الظهور والخير وما عندها من الفائدة والواقعية ومن الموجودية هو كله من عند الله، هنا

معنى الزهراء عليها السلام كوكبٌ درّي بين نساء الدنيا أو بين نساء العالمين، يعني أن الزهراء بكمالها، في ذات كمالها في ذات نوريتها هي حجة على نساء الدنيا والآخرة، بل هي حجة على النساء و الرجال، حجة على كل الموجودات بما فيهم الملائكة، فالملائكة كانت تخدم الزهراء عليها السلام لأنها حجة عليهم. و لكن ليس من هذا الحيث، أي ليس من حيث أصل الوجود والكمال، و إنما الكلام من حيث منهج الكمال وطريق الكمال، نعم! هناك طريق كمالي يسلكه الرجال و هناك طريق كمالي آخر تهتدى إليه النساء.

٣/ الزهراء عليها السلام حجة الله

و اقع المرأة اليوم محل كلام و محل بحث وخلاف، عادة ما يُتساءل: ما هو السبيل الذي تسلكه المرأة لتبلغ الكمال؟ ما

هو السبيل الأزكى والأنفع للمرأة لتبلغه مع التمسك بحجابها وعِفّتها؟ هنا تبرز و تظهر لنا مرجعية الزهراء عليها السلام بأنها أكمل النماذج وأتمّها.

الزهراء عليها السلام نبراس للجميع في نورانيتها و في أصل كمالها بأنها وهي حجة علينا وعليكم، فكل الموجودات تنظر إلى الأكمل والأصل والقدوة وهم محمد و آله محمد سلام الله عليهم، فهم النور والقدوة وطريق الكمال، لكن في حق المرأة بالخصوص هنالك مسلك خاص و منهج خاص.

عندما تختلف الآراء و تتقاطع التوجُّهات و تظهر التيَّارات المتضادَّة في معالجة شأن المرأة، بحيث تقع المرأة المسلمة في

حيرة تحديد المسلك المناسب والصحيح، فتتساءل: هل تسلك هذا المسلك أم أنها تسلك ذلك المسلك؟!

وقفة تأمل مع بعض الإتجاهات التي تتصدَّى إلى معالجة واقع المرأة اليوم

نلاحظ أنَّ هناك من يدعو المرأة بأن تدخل في واقع الحياة الإجتماعية والعمل العام والحركة الإجتماعية، وهناك من يدعو المرأة اليوم إلى تتقحّم الميدان الإجتماعي بكل قُوَّتها، وهناك من يرفض ذلك تماماً، ويدعو المرأة إلى المُكوث في بيتها؛ بل أكثر من ذلك هناك من يدعو إلى إبقاء المرأة في البيت ومنعِها حتى من التعلُّم. ولكن لكي لا نطيل الحديث عن هذه التوجهات،

و لكي يتمركز الحديث عن: ما هو الطريق الصحيح المنقِذ للمرأة؟

الزهراء هي النموذج الأمثل و الحي

نحن بحمد الله نمتلك الطريق الأمثل، نمتلك النموذج الأتم، نمتلك الزهراء عليها السلام، نحن لانعيش بقيَم مجرده وخالية من المصاديق و المُثُل.

٤/ أبعاد حجيَّة الزهراء عليها السلام

١/ البُعد الإجتماعي و العِلمي

نحن نعيش نموذج حي و اقعي، فالزهراء عليها السلام ما كانت في يوم مّا منقطعة عن المجتمع أو كانت عالمة باتجاه علمي خاص؛

بل بلغت بها المعرفة أنها كانت تعرف ما لايعرفه أصحاب رسول الله ﷺ عندما سألهم ما هو خيرٌ للمرأة و كان معهم الإمام علي عليه السلام و سلمان و غيرهما فلم يعرف أحد الجواب و عندما ذهب الإمام علي عليه السلام إلى بيته أخبرته الزهراء عليها السلام أن: (خير المرأة أن لاترى الرجال و لايراها الرجال)، هذا النوع من العلم و المعرفة و الإحاطة الذي بلغته الزهراء عليها السلام، هو نوع من العلم الذي يجب على الإنسان أن يبحث عنه وأن يتمسك به فهذا النوع ليس خاص بالرجال أو الملائكة بل هو يشمل المرأة أيضاً، فهذا أول مصداق و نموذج على مستوى الكوكب الدري.

٢/ البُعد العبادي والمعنَوي

على فرض توفَّرت كل عناصر الكمال في بيت من البيوت، في الأم والأب والأبناء، إلا أنّ هذا الكمال لا يبلغ ما بلغه بيت الزهراء عليها السلام إذ أنها استطاعت ومن خلال تربيَتها أن تبلغ مرتبة تكون أفضل من الملائكة، يقول الإمام الصادق عليه السلام -مضمون الرواية - أن الصلاة في بيت الزهراء عليها السلام الموجود ضمن المسجد النبوي أفضل من الصلاة في الروضة التي بين المقام والمحراب!.

٣/ البُعد الأُسَري

المنحى الثالث: المنحى الذي مثلته الزهراء عليها السلام هو خاصية الأمومة، حيث أنَّ كمال البيت يتحقق من خلال الأم، ومن خلال الأنثى.

الرجل يهيئ أسباب المنزل من حيث القوة والصلابة، يضع الأعمدة الصلبة في البناء الأُسَري، الرجل أو الذكر بطبيعته قويّ متمكّن، هو يوجِد أساس المنزل والأسرة لكن مهما بلغ من قوة و متانة و توفرت فيه عناصر الثبات و المقاومة أمام التيارات و العواصف، إلا أنه لايخلق سكَناً و ملاذاً للإنسان إلا من خلال الأنثى المرأة والأم التي تُضفي على هذا البناء القوي الحديدي وتزرع فيه الطمأنينة والسكينة من خلال المُرونة والمحبة واللُّطف والعطف.

٤/ البُعد العاطِفي

تصور لو أعطاك أحدهم قصراً جميلاً مُحكَم البناء؛ لكنه خالٍ أجْوَف!؛ بل أكثر من ذلك هو مليء بالأحقاد و الكراهية

بين ساكنيه، كم هو معكِّر للمِزاج وللروح، إنّ هذا ليس ملاذاً و سكناً. إنّ الاطمئنان يحصل من خلال الأم، من خلال العواطف والمشاعر الجيَّاشة التي تحتوي عليها الأم، و هذا لا يستطيع أي موجود من الموجودات أن يحويه غير الأنثى، رسول الله ﷺ كان يجد في الزهراء عليها السلام هذا اللون من الأمومة. استطاعت الزهراء عليها السلام أن تمثِّل أجمل وأحلى صور الأمومة على مرِّ تاريخ البشرية من خلال مشاعرها وأحاسيسها، أن توفِّر لأهل بيتها المحبَّة والمودة و اللطف. هذه المشاعر هي التي تخلق العلاقات الإنسانية، إنّ العلاقات الإنسانية لا تتكون بانضمام قطعة إلى قطعة أو فرد إلى فرد، إنها ليست وجود إنسان بجانب إنسان، إنما هي من خلال هذا المستوى من الإحساس والرِّفْق، و بهذا

الحس الجياش بلغت الزهراء عليها السلام مستوى عالٍ من الرفعة و المقام، لم تستطع امرأة في التاريخ أن تُحقق ما حققته عليها السلام.

من هنا ندرك و نلمس ما عانته في مواجهة التيارات الجارفة الممتلئة بالغلظة و الخشونة من أولئك القُساة الجُفاة الذين ما كانوا يتردَّدون أو يتورَّعون من إيذاء هذا المخلوق الرقيق.

تقول الروايات أنها سلام الله عليها عاشت بعد أبيها صلى الله عليه وآله ٧٥ يوماً لم تُرَ كاشرة ولا ضاحكة، عاشت الألم و الغصَص والاستضعاف، كانت تأتي إلى قبور الشهداء كل يوم جمعة وإثنين، تتذكر هؤلاء الذين يعيشون أحاسيسها ومشاعرها ويدركون ما تعانيه. تأتي إلى قبر أبيها تشُمّه وتبكي، تصطحب

الحسنين عليهما السلام و تخاطبهما، وتشير للقبر فتقول لهما: هذا قبرُ جدّكما الذي كان يضمّكُما ويحتضِنكما وتبكي. يقف بلال ليؤذن، وعندما قال: (أشهد أن لا إله إلا الله) بكَتْ و لكن عندما قال :(أشهد أن محمداً رسول الله) أُغشِي عليها، فقيل لبلال: كُفّ فقد ماتت فاطمة بنت محمد، إنها تعيش همّ الآخرة، لا تعيش في هذا العالم إلا بمقدار ما يجب أن تتعايش مع من حولها، بقِيَتْ على هذه الحالة تُقاسي الألَم ساعةً بعدَ ساعة حتى فارقَتْ هذه الحياة. نسألُ الله أنّ يمُنّ علينا بمحبَّتِها ومعرفتِها ويرزقنا في الدنيا زيارتها و في الآخرة شفاعتها والحمد لله ربِّ العالمين.

[٥]

المرأة والسير إلى الله

سأل رسول الله ﷺ حرمه و اللذين حوله من أصحابه: متى تكون المرأة أدنى من ربها وكيف وما هو الدليل لبلوغ القرب الإلهي بخصوص المرأة؟ ما هو الطريق الأمثل للمرأة إلى بلوغ القدس؟

فلم يدروا أي لم يهتدوا للجواب وهو ﷺ لم يخبرهم الجواب، الرواية تقول فلما سمعت فاطمة عليها السلام ذلك، قالت:

أدنى ما تكون المرأة من ربها أن تلزم قعر بيتها أي أن تبقى في قعر بيتها، أن تلتزم بمنزلها بل قعر بيتها.

١/ كل الوجود مُبرمج على القرب من الله

في البداية لابد من الإشارة إلى أنّ كل ما في الوجود هو مُبرمج و مزروع في المنهج القويم لسلوك الطريق الصحيح، كل ما هو في هذا الوجود -في الحقيقة- عندما يُترك من غير مُكدِّرات أخرى، فإنه ينطوي على المنهج الصحيح للقرب الإلهي المُقترَح له، ماذا يعني ؟

يعني لاحظوا البذره، لاحظوا الحيوان، الأجرام السماوية، لاحظوا كل شيء من حولكم، ستجدون أن له مساراً جِبِلّيّاً جذريّاً ذاتياً لا يتخلّف عنه، و هو يتبعه في طريقه للكمال.

لاحظوا البذرة عندما تقع في أرض خصبة و في أرض رطبة فيها غذاء، هي بطبعها تمتص هذا الغذاء وتأخذ ما يفيدها وتدفع ما يضرّها وتنمو بالطريقة الصحيحة حتى تتحوَّل من مُجرَّد بذرة صغيرة إلى شجرة يانِعة مُثمِرة، والحيوانات كذلك؛ مثلاً العصفور الصغير والحوت الكبير كلها تهتدي إلى سبيل صلاحها و تسير بحالة غرائزية، ماذا يعني حالة غرائزية؟ قد لا تهتدي كل الحيوانات إلى بواعثها في الحركة فنجد النمل –مثلاً- عندما يأخذ الحبّة و يجرها على الأرض إلى منزله فإنه يقطع هذه الحبة إلى نصفين، كي لا تنبت هذه الحبة في منزله! وقد لا يدرك النمل لماذا يقوم بتقطيع الحبة بعد أن يأخذها و إنما غريزته تدعوه إلى ذلك. نلاحظ أنَّ الطيور مثلاً بعد أن تبِيض لا تعي لماذا

ولكنها تقوم بالتغيير و التبديل في وضع البَيضة كي تنمو و تفقس ويخرج منها الصوص الصغير، هي تقوم بعملية التغييير و التغذية والحضانة بشكل غرائزي في اتجاه كمالها، وهي تسير ما لم تُمنع من السير، تسير باتجاه الكمال فتبلغ مدى كمالها المتاح؛ يعني هي لا تستطيع أن تتحول مثلاً من مجرد بذرة إلى حيوان! هي تتحول إلى نبات، النبات هو مرتبة أكمل من مرتبة البذرة. كما أنّ البيضة تتحرك باتجاه أن تصبح طائراً كاملاً و الطائر الكامل هو الكمال المتاح للبيضة، و الأجرام السماوية في حركتها، تسير باتجاه التكامل والتجانس والتناسق مع بقية الأجرام؛ فلا يحدث تصادم.

قد تقولون أننا نرى في بعض الأحيان وقوع صورٍ من الخلل و الاضطراب والزلازل والبراكين والانفجارات، أو نجد حيوانات تعتَدي على بعضها فتقتل بعضها البعض وتتركها في دمائها، فكيف تنسجم هذه المشاهد مع المسيرة التكاملية الكونية؟! في الجواب نقول أنّ هذه الصور أيضا تقع في ضمن التكامل العام، بمعنى أن التوازن في الطبيعة بين نزول الأمطار وجريانها و تحويلها إلى أنهار، هذا لا يمنع أن يحصل بعض الخلل هنا أو هناك، تختربب بعض البيوت أو نخسر بعض الموجودات بسبب تكوّن الأنهار وجريانها مثلاً، و لكن في المحصلة العامة هناك تكامل و ترقي و مسير إلى الله عزوجل حتى في مثل الطبيعة. بالنسبة للحيوانات، أشرنا أن السباع تعتدي على غيرها في

قانون الغاب، هذا أيضاً فيه تكامل و هذا ما يشير إليه المَثل المشهور بين الناس: (لا يموت الذيب و لا يفنى الغنم). أي أنّ هناك معادلة طبيعية بين السِّباع و الأغنام نجد أن الذئاب مجبُولة على أن تأكل الأغنام و الأغنام تتكاثر، لا يموت الذئب و لا الأغنام تفنى، و إنما تبقى الطبيعة تحافظ على توازنها و تنمو، لاحظو أنَّ العالم كله من البذرة إلى المجرَّة في حالة تكامل مدروس و ترقِّي في مر اتب الكمال.

هنا لابد من التنبيه على مسألة مهمة، كثيراً ما تُثار و هي القول بأنّ هذه الحركة التكاملية خاصة بالإنسان، لأن الحيوان موجود يتألّف من شهوات بلا عقل فهو لا يتحرك للتكامل، والملائكة موجودات عقلية بلا شهوة فهي لا تدخل في الصراع

فتتكامل؛ فالملائكة ليس فيهم خيِّر و شرِّير، الملائكة كلهم أنوار ليس فيهم حالة ترقي و تكامل، كما أن الحيوان لا يوجد فيه ترقي و تكامل.

هذا الكلام على ما فيه من إجمال صحيح؛ يعني بالإجمال صحيح أن الجماد حركته ضئيلة جداً و الحيوان حركته الكمالية محدودة و الملائكة محدودة من حيث التفاوت التكاملي و لكن هناك حركة تكاملية في كل هذه الموجودات و إن اختلفت في شدتها و ضعفها. هناك حتى في الجماد ما هو خبيث و ما هو كريم، نحن عندما نقول أحجار كريمة، فإنّ وصف الأحجار بأنها كريمة يعني لها شأن، رِفعة و كرامة، فالكرامة ليست من مختصَّات الإنسان، حيث ذُكر في الروايات أن

للعقيق كرامة عند الله عز وجل و الحجر الأسعد له كرامة، و للكرامة بين الجمادات مراتب متفاوتة، من الجماد منها ما يخرّ من خشيه الله. في الروايات أن الطائر لا يقع في الفخّ إلا عندما يغفل عن التسبيح، الملائكه كذلك، سمعنا بقضية فطرس ذلك الملك الذي صدر منه ما صدر و كُسر جناحه و أُلقي في جزيرة فتاب الله عليه ببركة الإمام الحسين سلام الله عليه، فإذن الملائكة متفاوتة في مراتبها ففيها العالي و فيها الداني، و لكن الحركة التكاملية للجمادات و الحيوانات و النباتات و الملائكة حركة محدودة، فالجماد مهما تكامل لا يعدو أن يكون جماداً و الحيوان مهما تكامل لن يخرج عن أن يكون حيواناً، و كذلك النبات، و لكن بخصوص الإنسان فإنّ المساحة الكمالية لا

نهائية صعوداً و هبوطاً، فلا يوجد أقذر من الإنسان إذا هبط، و لا يوجد أشرف و أسمى منه إذا صعد و ترقّى، إذن حركة الإنسان هي حركة عظيمة مَهُولة يستطيع أن ينطلق إلى عوالم الغيب، بعد أن كان مجرد حُوَيمن أشبه ما يكون بنبات يترقى و يتكامل و يتحول إلى جنين متكامل يأتي إلى هذا العالم أشبه ما يكون بنشأ حيواني، هذا الموجود الذي يترقى من الجمادية إلى النباتية إلى الحيوانية، عندما يترقى للإنسانية يُفتَح له باب للترقي و التكامل من جهة و السقوط و التسافل من جهة ثانية؛ إذن هذه النقطة الأولى: أن الحركة التكاملية في دائرة الإنسان حركة مهُولة، كما نجد أنّ في عالم الجماد و عالم النبات و عالم الحيوان و عالم الملائكة هناك مسير ثابت لا يختل، لو لاحظنا هذه اللوحة

الوجودية و ميّزناها بخطوط متّسِقة منسجمة تسير بنا إلى التكامل، نعم قد تكون هناك بعض المنحنيات، مثل الزلازل و البراكين ولكن بالإجمال؛ العالم في حالة من التكامل، حتى الحيوان، حتى أكل الحيوان للحيوان، نعم هناك بعض العقبات التي هي من ضروريات حصول التوازن في هذا العالم المحدود، لكنه في سبيله للكمال و الترقي.

٢/ الإنسان خليفة الله

حتى الإنسان هو في حالة إمتحان بالنسبة للحيوانات فهو قد زُرع فيه نسبة من الهداية كما هو حال الطفل الرضيع يهتدي إلى صدر أمِّه ليرضع!، هذه الأمور غريزية، قلبه ينبض و معدته تهضم و أجهزته تؤدِّي وظائفها على أكمل ما يكون بشكل

عفْوِي و غرائزي و لكن تبقى هناك حركة إنتقائية إختيارية، تضاف إلى حركة الإنسان، وهذا هو معنى الإستخلاف و هو يعني أن الله أوجَد هذا العالم وأوجَد الإنسان وسلّطه على هذا العالم، و أعطاه الإختيار. قال له أنت في هذه المساحة تتحرك في اتجاه الكمال لا تتحرك في اتجاه الفساد و الإفساد (وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْض)[١] لاحظوا، ما يفسد ليس هو الإنسان فقط بل السماوات و الأرض هذا يعني أنك أُعطِيت مُكنة، وقوله تعالى: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاس)[٢] ليس بما صنعته الزلالزل و البراكين و

---

[١] المؤمنون/ ٧١.

[٢] الروم/ ٤١.

الأسُود و السِّباع و كل هذه المؤثرات من زلازل و براكين و حتى هجوم الشُهُب و ما إلى ذلك تقع من أجل الحفاظ على التوازن في عالم الطبيعة، إلا حركة الإنسان! إذا تحرك الإنسان باتجاه الفساد، فإنه عندما يسفُك الدماء يفسد في الأرض، و هذا ما ذكرته الملائكة عندما قال الله تعالى (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء)[1] إلا أنّ هذا الإستخلاف مع ما فيه من الفساد و سفك الدماء و لكن هذا هو سبيل الكمال البشري، الذي هو الكمال الأسمى و الأرقى، و سبيله الإستخلاف الذي يلازمه هذا الخلل و الفساد و الشر و الإفساد، لكن عندما يتحقق الكمال فهو يكون في أبهى و أجمل

[1] البقرة/ ٣٠.

الصور، يبقى أن هذا الجمال و هذ الترقي و هذا القرب من الله عزوجل أحلى ما في هذا الوجود و أجمل ما في هذا العالم.

لاحظوا ما عند الحيوان من أسباب لذّة، يأكل ويملأ كرشه وينام ويمارس الجنس، إذن عنده بعض اللذة لكنها لذة حيو انية مادية يشاركه الإنسان فيها، يأكل ويشرب و ينام و ينكح ولكن هذه اللذة حيو انية، هناك مرتبة أعلى و أرقى، هي مرتبة المعرفة وكمال اللّذة العقلية، الإنسان عندما يتجاوز هذه الطلبات المادية من المأكل والمشرب وما شاكل ذلك ويعيش حالة المعرفة والإدراك لهذا الوجود والتطلع إلى عوالم الوجود، حتى أن بعض العلماء يقول أين الملوك و أبناء الملوك عن ما نحن فيه من عالم اللّذات؟! من عالم المعرفة و العلوم، سمعتم

بذلك الذي اكتشف قانون وخرج عرياناً بين الناس يقول وجدتُها وجدتُها! من اللذة و الفرح؛ عندما ينال الإنسان المعارف هذه لذه عقلية أسمى من كل لذة حسيّة، هناك من العلماء من يبيع كل لذات الدنيا، أولئك الذين دخلوا في عالم العلم و المعرفة لا يرون قيمة لهذه اللذات المادية لِما أحسُّوا من لذة عقلية وهذه المرتبة من اللذة العقلية هي مرتبة متوسطة من اللذات، هناك لذة أعمق و أسمى و أعلى هي لذة الإنقطاع لله تعالى أي اللذة الروحية و لذة الإطمئنان بالتدبير الالهي و هي تمام السعادة الإنسانية، لقد خُلق الإنسان ليصل إلى هذه اللذَّات، ليُنعِم الله عليه بهذه اللذة، لاحظوا الله عز و جل خلق الكثير من الملائكة و عدد الملائكة أضعاف أضعاف كل الموجوات

مجتمعةً، حيواناً ونباتاً، وهي مخلوقات شريفة ونورانية، يعطيها الله من البهاء والنضرة ما لا ندركه، لكن كل هذا لا يحقق الغرض الإلهي من الإيجاد، إنّ الغرض الإلهي من الإيجاد لايتحقق إلا بأن يوجَد الإنسان؛ لماذا؟ لأن هذا الموجود هو الذي يعيش حالة الصراع بين العقل و الهوى، في رواية: (لَوْ أَنَّكُمْ لَا تُخْطِئُونَ لَأَتَى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُخْطِئُونَ يَغْفِرُ لَهُمْ)[1].

إذن لماذا أوجد الله هذا الكون؟ أوجده ليعطي، لماذا لم يكتفِ الله بإعطاء الحيوانات و النباتات و الجمادات و الملائكة؟ لأنها ضيقة فلا تستوعب العطاء الإلهي العميق، كيف يوجِد الله من يستفيد من العطاء الإلهي أكثر و أكثر؟ يخلُق الإنسان الذي

---

[1] المستدرك على الصحيحين، ٩٢، حديث ٣١٦٧.

يحتاج ويضعف ويتوب ويعيش حالة الصراع فيدعوا الله وفيه مجال واسع لأن يتوب الله عليه ويعطف عليه ويتفضّل عليه و يمُنّ عليه بما لا تستطيع الملائكة أن تفعله.

٣/ الحركة التكاملية للذكر و الأنثى

إنّ الحركة الإنسانية تتشكل من ذكر وأنثى. كل المخلوقات مجبولة لكي تسير في حالة تكامل وترقّي.

الإنسان يُصنّف إلى فردين مشتركين ذكر و أنثى، هما أخَوَان في أصل قانون الخلقة، و في أصل قانون الحركة، و في أصل قانون الشريعة و لذلك يصرّح الفقهاء أنَّ الأصل في الأحكام الشرعية العبودية و الإشتراك بين الجنسين، فالصلاة و الزكاة و الحج، كل هذه الوجوبات مشتركة بين الجنسين، جاء

الرسول صلى الله عليه وآله بأحكام كثيرة، الأصل فيها هو الإشتراك، و لكن هذا لا يعني أنه ليس هناك بعض الخصوصيات للرجل و بعض الخصوصيات للمرأة، نعم! وجوب الصلاة، وجوب الزكاة و وجوب الحج، وبقية الوجوبات تكون مشتركة بين الجنسين، سلوك المرأة لله لايختلف عن سلوك الرجل لله، السلوك مشترك و الحركة التكاملية مشتركة، هما يسيران كأخوَين قد خُلقا من هذا الموجود الواحد و الأب الواحد، و هو النبي آدم عليه السلام.

ولكن للمرأة خصوصية كما تعبر بعض الروايات: عن أمير المؤمنين عليه السلام:(عُقُولُ اَلنِّسَاءِ فِي جَمَالِهِنَّ وَ جَمَالُ اَلرِّجَالِ فِي

عُقُولِهِمْ)[1] طبعاً قد تُفهم الرواية بمستويات متعدِّدة من الفهم، ولكن المعنى الأقرب إلى الذهن، هو أنَّ طبيعة الحركة الأنثوية حركة جمالية وروحية، وسنشير إلى بعض الروايات التي تدعم هذا المعنى.

من جهة أخرى فإن للرجل نمط حركة تكاملية بطيئة ثقيلة، هنا لسنا في مقام تفضيل هذا على ذاك بل في مقام توصيف الحركة التكاملية لكل من الجنسين.

نأتي بمثال لتقريب الفكرة، تعلمون أنّ للسيارات أنواع تختلف، هناك سيارة مثلاً ثقيلة تحمل أثقال كبيرة و تكون حركتها بطيئة، و هناك سيارة خفيفة و صغيرة سريعة الحركة و

---

[1] الصدوق، الأمالي، ج١: ٢٢٨.

لكنها أيضاً سريعة الإنقلاب و لا تتحمل الأثقال، و هذه سريعة و مفيدة للتنقل داخل البلد، الآن أيّهما أفضل: السيارة الثقيلة أو السيارة الخفيفة؟! لا نستطيع الجواب على نحوٍ مطلق، الأفضلية تعتمد على غايتك أنت من السيارة!، أنت ماذا تريد أن تصنع بها؟ أين تريد أن تذهب؟ هل تريد أن تقطع مسافات طويلة و بالتالي تريد سيارة سريعة؟ أم تريد أن تحمل أثقالاً و بالتالي تريد أن تأخذ السيارة الكبيرة؟ أنت تريد أن تتجول داخل المدينة فتأخذ السيارة الخفيفة؟! إذن لكل جنس من الجنسين خصائص وكل خصائص تعطي أفضليه في دائرة تتطلب تلك الخصوصيات حسب الأغراض و الغايات.

إنّ حركة المرأة التكاملية تكون حركة سلمية عندما تحصل في قعر البيت أو كما في الرواية أنّ مسجد المرأة مخدعها أي أنّ الحركة التكاملية للمرأة تقع في الستر، وفي البيت، في الكفاف، في العفاف، و (جهاد المرأة حسن التبعل) هي حالة من العفاف أيضاً، وهذا لا يعني أبداً أنّ ليس للمرأة دور إجتماعي بل في بعض الأحيان يكون دورها الإجتماعي وظيفة شرعية واجبة، يجب عليها أن تصنع كما صنعت الزهراء سلام الله عليها و كما صنعت زينب سلام الله عليها، لكن نحن نتكلم عن الوضع العام عند الزهراء و زينب و أمثالهن من الكُمّل من النساء و الخطوط العامة في حياتهنّ، حيث يغلب عليهنّ العفة و الحياء و الإنكفاء بما دون الباب، كما في الرواية التي سنشير إليها.

إذن الحركة النسائية تتناسب مع ما أعطاه الله للمرأة من خصائص، و هذه قاعدة عامة من قواعد الكمال، و هو أنّ كل موجود له حركه تتناسب مع ما أُعطي من خصائص، كما في السيارة الثقيلة ذات المكينة العنيفة فإنها تناسب الطرق السريعة الكبيرة خارج المدن مثلاً، و السيارة الصغيرة السريعة تناسب داخل البلد، و كل منهما يحاسَب بحسب ما يؤدي من وظيفته، نذكر مثال آخر يعتبر من الأمثلة العُرفية التي نعيشها، لاحظوا التجار، نحن نعطي التاجر مبلغاً ماليّاً محدوداً فيدخل في تجارة جزئية، هو لا يدخل في تجارة الجملة لأن رأس المال عنده محدود، بل يبيع و يشتري أشياء صغيرة، بالتالي سوف تكون أرباحه متناسبة مع رأس ماله، وبينما التاجر الذي لديه

مبالغ ضخمة و يدخل في تجارة أوسع فإنه في نهاية المطاف سوف نحاسب صاحب رأس المال الصغير لو دخل في تجارة و خسر و نعاتبه، و كذلك صاحب المال الكبير لو دخل في تجارة جزئية من نفس نوعية تجارة صاحب رأس المال القليل فإنه سيخسر و سنعاتبه، لكن كل منهما يسير في سيرته التكاملية الإقتصادية وتكون محاساباته ومحاسبته مختلفة عن الآخر، كذلك المرأة و الرجل كل منهما قد زُرع فيه ما يتناسب مع وظيفته و أُعطي من الوظيفة ما يتناسب مع ما زُرع فيه من الإمكانيات، لن يستطيع الكثير من الرجال أن يقوم بالأدوار التي تستطيع أن تقوم بها المرأة في تربية الجيل و في الحفاظ على الأطفال، هذه من خصوصيات المرأة ذات القلب الوسيع الرقيق و العواطف

الجيَّاشه، هي فقط مَن تستطيع أن تستوعب خصائص الإنسان في نموّه و تستطيع أن توفّر له المهد المناسب كي ينمو و يكبر و يستوي.

تشير بعض الروايات إلى أن امرأة صالحة خيرٌ من ألف رجل؛ لماذا؟ نحتاج أن نفهم الروايات لكي نتمكن من السير في مسارنا الكمالي المتناسب مع إمكانياتنا، فالرواية عندما تقول: (امرأة صالحة خير من ألف رجل صالح) [١]، أي أنّ طبيعة المرأة كالسيارة الخفيفة داخل المدينة تكون أسرع و تطوي الحركة التكاملية بشكل أسرع، و لذلك نجد كثيراً من كمّل النساء بلغن

[١] و إن كانت بعض الروايات تشير إلى أنّ امرأة صالحة افضل من ألف رجل غير صالح ولكني رأيت هكذا امراة صالحه خير من الف رجل صالح.

مراتب الكمال في سن الشباب؛ الزهراء عليها السلام كم كان عمرها؟ مريم عليها السلام كم كان عمرها ؟ المعصومة عليها السلام كم كان عمرها؟ شابات بين الثمانية عشر والعشرين والاثنين والعشرين سنة، سِرن في مراتب الكمال بحركة سريعة، طبيعة المرأة جياشة، عندما تسير في الطريق فإنها تطويه بقوة، و تطوي المسافات بسرعة.

نعم!، في بعض الأحيان، توقعها هذه السرعة و تجعلها تنهار في طريق طي الكمال، و لذلك في الروايات أنّ أغلب أهل النار من النساء، هل هذا يعني أنّ هناك إعتداء من الله على النساء و ظلم لهنّ؟! لا؛ بل طبيعة هذه التركيبة الانسانية أنها سريعة الوقوع في الخطأ.

الرجل بطبعه ثقيل فحتى لو أخطأ في حركته الكمالية إلا أنّ أخطاؤه أقل، لكنها أثقل، فيرجع يتوب ويكمل طريقه الكمالي، في حين أنّ المرأة لأنها مندفعة و سريعة فتكثر أخطاؤها و قد تتأخر في الإلتفات إلى أنها على خطأ فيصعب عليها العودة وتصحيح الطريق.

الآن! لماذا هي كذلك؟ هكذا تكوينها، و إذا بلغت الكمال فإنها تبلغه بسرعة و اندفاع يجتاح و يُصلِح الكثير مما و ممن حولها، كالزهراء عليها السلام التي بلغت الكمال و أصبحت في مصاف الأولياء في الثمانية عشر سنة، ثم بقيت تملأ الكون كله عاطفة و إيمان حتى اليوم.

لاحظوا هذه الروايات -و هي كثيرة- التي تعطي انطباعاً عاماً في شأن حركة المرأة.

يُنقل عن الزهراء عليها السلام أنها كانت مع أمير المؤمنين عليه السلام في بداية زواجها، تقول: احتكمنا وتقاضينا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله كيف ندير شؤوننا، فقضى صلى الله عليه وآله إلى فاطمة الباب وما دونه وقضى للإمام علي عليه السلام الباب و ما خلفه، لاحظوا الموقف الصحيح و الطبيعي للروح الذكورية و الروح الأنثوية المتوازنة، لو أنّ بعض النساء اليوم ممن يطالبن بالمساواة، و تقول: (أنا أقدر و أنا أدبر الأمور بلا حاجة إلى الرجل)، خلاف حكومة الحق و اطمئنان البال للمرأة، أن تتكفّل المرأة الشأن العام، هذا يتعب وجدانها،

ويرهق مزاجها ولا يو افق تركيبتها، و لذا ما يقال اليوم من المساواة هو شكل غير معقول و غير منطقي و غير منصف للمرأة.

المساواة ليس أن ينافس الغزال الأسد!!! بل المساواة تعني أن يكون الغزال بطباعه و كماله، أن يكون ناعماً يأكل الحشائش. من المضحك أن يقول الغزال: أنا أريد أن أُنافس الأسد، بل كل واحد من الجنسين جميلٌ في دائرة جماله و حاجته وطبيعته، و حتى بيئته تتطلب ذلك أي أن الحركة الكمالية الإجتماعية تتوقع منه ذلك، فتقول الزهراء عليها السلام لما قضى لها رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك: (فلا يعلم ما داخلني من السرور إلا الله عز و جل) الحمد لله بكفايتي رسول الله صلى الله عليه وآله تخطِّي رقاب الرجال و منازعة الرجال.

أيضاً هناك رواية مختصرة وجميلة في معناها، أنّ امرأة أتت للنبي ﷺ، بصفتها وافدة النساء، فقالت بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إني وافدة النساء إليك وأعلم أنه ما من امرأة كائنة في شرق الأرض ولا غربها ولا صالح متقدم ولا متأخر، سمعتني إلا هي بمثل رأيي -يعني أني أقول كلاماً توافقني فيه جميع النساء- قالت: إنَّ الله بعثك بالحق فآمنا بك وبالذي أرسلك لكن نحن معشر النساء محصورات، -هذا واقع إجتماعي- نحن قواعد بيوتكم -أنتم تحبسوننا في البيوت- ومقضى شهواتكم وحواضن أولادكم وأنّكم معشر الرجال فُضِّلتم علينا بالجمعة والجماعة، يعني أننا نحن النساء نربي الأولاد ولا نذهب للجمعة، أما الرجل فإنه يذهب للجمعة لأنه لا يلتزم بالتربية و

غيرها من شؤون البيت التفصيلية، ويحصِّل الثواب و الأجر و عيادة المرضى و شهود الجنائز و الجهاد مفتوح لكم و ممنوع عنّا، و كلها أبواب للأجر والثواب؛ يعني هل الثواب لهم و التعب علينا؟ لا حظوا كم هي حكيمة هذه المرأة!، تقول: و أنّ الرجل إذا خرج حفظنا لكم أموالكم و أولادكم و غسلنا لكم أثوابكم و وفرنا لكم الأمن، التفت الرسول ﷺ إلى أصحابه، قال: أصحابي، هل سمعتم مسألةً من امرأة أحسن من مسألة هذه المرأة في دينها؟ قالوا: أوَ تهتدي امرأة لذلك؟! ثم التفت إليها و هو مبتسم، قال: يا أسماء، أبلغي أن لكم من الأجر مثل ما للرجال في جهادهم، و أن جهاد المرأة حسن التبعّل[1]. هذه المرأة تريد الغاية

[1] الكافي، ج٥: ٩.

وهو الثواب و الأجر و لا تريد الخروج عن المألوف أو عن وصايا الرسالة النبوية، فحصّلت ما أرادته.

[٦]

كيف نثبُت على طريق فاطمة عليها السلام حتى الشهادة؟

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا وحبيبنا أبي القاسم محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين المعصومين الميامين.

في البداية نبارك لأنفسنا و نبارك لكم و نبارك لكل عُشّاق الزهراء عليها السلام وطلاب الحقيقة هذه الذكرى السعيدة ذكرى ميلاد

سيدتنا ومولاتنا الصديقة الشهيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها، ثم لا يفوتنا أن نبارك لكم هذا الاستمرار و الدَّفق المحمَّدي المستمر من خلال دماء الشهداء و المتقدِّمين في سُوح الشهادة لإمضاء هذا المكان و إبقاء النبض الإنساني حيًا خالدًا بدمائهم و أرواحِهم، لنفتتح هذه الجلسة بقراءة سورة الفاتحة لأرواح الشهداء طوال تاريخ الإسلام وفي صدر الإسلام وكل الذين تقدَّموا في سبيل الدفاع عن القِيَم والمبادئ والذين قضوا في سبيل الحفاظ على المعايير و الأهداف الإسلامية السامية، نقرأ لهم الفاتحة.

١/ تأطير المفاهيم الإسلامية هي المانع الأساس في ثبات الإنسان على الحق

مفهوم الشهادة في منظومتنا الفكرية هو مفهوم وقيمة خالدة ذات امتدادات طويلة عريضة؛ أي أنّ له موقعية مركزيّة في مجموع المفاهيم التي وصلتنا من أهل البيت -عليهم الصلاة و السلام- كمفهوم التقوى والورع والإيمان مقابل الفسق و الفجورو الكفر.

تم تأطيرهذه المفاهيم -لعله بسبب طبيعة أذهان الناس- بأُطر إصطلاحية مُحدَّدة، حيث أن أكثر الناس تصوروا أنها تنطبق على أنحاء معينة دون أنحاء أخرى؛ يعني مثلاً لكي أوضِّح هذه الفكرة، لنتأمل في مفهوم الإيمان و الكفر، عندما نقول هل يوجد في هذا المكان مؤمن؟! الكل سيقول الجميع في هذا المكان

مؤمن!، وعندما نقول هل يوجد في هذا المكان كافر؟ سيقول الجميع أنه لا يوجد بيننا والعياذ بالله كافر!، و لكن القرآن الكريم لا يتعامل مع هذه الألفاظ بهذا النحو، والإسلام لا يتعامل مع هذه الإصطلاحات بهذا النحو من التأطير و المدرسية -إن صح التعبير-، بمعنى أنه في كلِّ تجمُّع كما هو الحال في هذا المجتمع، يوجد في كل إنسان نسبة من الإيمان و نسبة من الكفر (لَا يُؤْمِن أَكثَرُهُم بِالله إِلا وهُم مُشرِكُون)[١] يؤمنون بالله، و لكن يخالج قلوبهم بعض الشك و الشرك (هُم لِلكُفر يَومئذٍ أَقرَبُ مِنهُم لِلإيمَان)[٢] ويُذكر في الروايات: يصبح المرء مسلمًا و يُمسي

---

[١] يوسف/ ١٠٦.

[٢] آل عمران/ ١٦٧.

كافرًا و يُصبح مسلمًا[١]، الآية التالية تشير إلى تقلب الإنسان في أحوال الكفر والإيمان: (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ)[٢] أنا و أنت عندما نتوجه إلى الله و عندما نتحرك في سبيل الكمال و نتوجه بقلوبنا و مشاعرنا إلى الله تتولانا الرحمة الإلهية و تأخذ بأيدينا، تأخذ بأيدينا من أين و إلى أين؟! من عالم الظلمات، أيّ ظلمات؟ ظلمات الكفر. أيّ كفر؟ الكفر الذي نعيشه، إلى هداية وسِعة النور و الإيمان؛ إذن الله جل و علا يأخذنا في كل لحظة و في كل آن و في كل يوم من الأيام.

---

[١] الكافي، ج٢: ٤١٨.

[٢] البقرة/ ٢٥٧.

ومَن تساوى يوماه فهو مغبون ومَن كان يومه خيرًا من غده فهو ملعون مطرود كافر داخل في ولاية الشيطان، وهذا ينطبق على كل فرد من أفراد الناس سواء كان في مجتمع متديّن، في مجتمع يرفع شعارات الدين أو في مجتمع عادي أو في مجتمع كافر، حتى المجتمع الكافر إذا كان فيه أشخاص يتحركون في سبيل تطهير أنفسهم و تطهير قلوبهم فإنَّ العناية الإلهية تأخذهم إلى مدارج الإيمان.

إذن الكفر و الإيمان ليس أمرًا حديًّا مدرسيًّا حتى يُقال هذا المجتمع هو مجتمع كافر وهذا المجتمع مجتمع مؤمن، إنّ ما ينطبق على هذه المفردة و هي الإيمان و الكفر ينطبق على كل المفردات القيَميّة. وهي نسبيةٌ في تحققها فينا أي تحقق بنسبة

معيّنة فينا، لنتأمل في الإيمان و النفاق: هل نحن منافقون؟ الحمد لله ، لا لسنا كذلك، و لكن مَن مِنّا يطهر قلبه من كل شائبة من شوائب النفاق وكل شائبة من شوائب الشك وكل شائبة من شوائب الشرك؟!، هذا يحتاج إلى جهاد يحتاج إلى عمل وحركة دؤوبة، و يحتاج إلى جهد كما يعمل أمير المؤمنين عليه السلام كان يروض نفسه رياضة شديدة؛ يعني يضغط عليها و يتابعها و يسُوسها سياسة ثقيلة و مُحكمة وشديدة البأس، المؤمن نفسُه منه في بلاء وعناء و الناس منه في راحة.

إذن الإيمان و الطهارة و النقاء و الصفاء ليس أمرًا آنيًا ثابتًا بل هو أمر نسبي متحرِّك، يعني الإنسان يترقى في مراتب الايمان كلما تحرك في اتجاه الايمان ومتى ما وقف فهو مغبون

ومتى ما تراجع فهو ملعون يعني مطرود من الرحمة يعني مُبعَد من الهداية يعني توّجته شياطين الجن والإنس، هذه مقدمة.

٢/ مفهوم الشهادة في المنظومة الإسلامية

عندما نتكلم عن مفهوم الشهيد و الشهادة فإنّنا نجد أنه ابتُلِيَ بالتأطير في أذهان الناس أيضاً.

الشهادة مستويات و مراتب و درجات، من الروايات التي أشارت إلى مراتب الشهادة: (مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ)[١]، (من قُتل دون عرضه فهو شهيد)[٢]، (المرأة تموت في نفاسها فهي

---

[١] وسائل الشيعة، ج١٥: ١٢٢.

[٢] صحيح البخاري، ج٣: ١٠٨.

شهيدة)[١]، (من مات على حب علي عليه السلام فهو شهيد)[٢]، (من مات غريباً فهو شهيد)[٣]، (من مات في كسب الحلال فهو شهيد)[٤] هذه الروايات تُفهمنا أنّ هؤلاء كلهم شهداء.

هل هم في مستوى واحد من الشهادة؟ لا، ليس الأمر كذلك، كما تعلمون هناك رواية مشهورة وهي: (فوق كل ذي بر بر حتى يقتل المرء أو الرجل في سبيل الله فليس فوقه بر)[٥] أعلى درجات الكمال أن يبذل الإنسان ماله وبدنه وروحه في سبيل

---

[١] الريشهري، ميزان الحكمة، ج٢: ١٥١٧.

[٢] المصدر السابق.

[٣] المصدر السابق.

[٤] جاء في الروايات أيضاً: (مَن أُرِيدَ مالُهُ بغَيرِ حَقٍّ فَقاتَلَ فقُتِلَ فهُو شَهيدٌ).

[٥] الكافي، ج٥: ٥٣.

القيم الإسلامية، كما فعل الإمام الحسين -عليه أفضل الصلاة والسلام- الذي هو سيد الشهداء و قمة الشهادة، حيث بذل أبناءه، بذل أحبته و ماء وجهه، بذل كل مشاعره في سبيل القيم و المبادئ، و المسألة ليست مسألة جنة و نار، لقد كان الإمام الحسين عليه السلام قادراً على أن ينسحب و هو إمام، إمام أهل الجنة، سيد شباب أهل الجنة، كان قادراً أن ينسحب و لكن أولاً: تأبى الكرامة، تأبى المروءة، هو أبيّ الضّيم، لا يقبل بهذا الظلم و الإهانة و التوهين، و ثانياً: هو يقف هذا الموقف خدمةً لنا و للإنسانية و للقِيَم.

ماذا يعني أنّ في عدم انسحابه عليه السلام خدمة لنا؟! ؛ يعني تصوروا لو أن الإمام الحسين عليه السلام انسحب من تلك الساحة،

لبقينا نحن اليوم في دهاليز مظلمة كما هو حال الكثير من عامة المسلمين، الذين أصبحوا لا يميزّون بين الإمام الوالي الشرعي يزيد و أحد رعيته المقتولين الحسين عليه السلام!!!، هكذا يقولون اليوم، و هذا ما يجري على ألسنتهم، فتختلط عندنا المفاهيم و تضيع، هل تعلمون ماذا يعني اختلاط المفاهيم؟!؛ يعني أن لا تبقى في قلوبنا جذوة و حرارة الإرتباط بهذه القِيَم و هذه المعالي.

نحن عندما نبكي الحسين عليه السلام و عندما نذكر اسم الإمام الحسين -عليه أفضل الصلاة والسلام- نجد في أنفسنا حرارة لا تُطفأ أبدًا، هذه خلقة الله، وصِبغة الله، هذا تكوين الله عز و جلّ، و الذين لا يبكون على هذه القِيَم وهذه المعاني فإنّ في ضمائرهم لَوْث؛ فقدوا نسبة من إنسانيتهم وما وهبهم الله من

كرامة و عزة، الله عز و جل خلقنا في أحسن تقويم، خلقنا و جعل فينا إدراكاً و جعل فينا حسًا و جعل فينا وعيًا و جعل فينا قيمًا تهدينا إلى سواء السبيل، جاء الإمام الحسين -عليه أفضل الصلاة و السلام- ليصقل هذه القيم ليُثبِّت هذه المعايير ليصبح مؤشرًا واضحًا على صحة هذا السبيل، مهما ضغطَت علينا الضغوط ومهما تكالبت علينا الأسباب ومهما آذانا الفقر والمهانة والتوهين والإعتداء، لكن تبقى ضمائرنا وإدراكتنا ومصائرنا واعية و جليّة. نحن علينا العُهدة ونتحمَّل عهداً لكل من اهتدى لهذه الحقائق، بل للإمام الحسين عليه السلام أولاً و لكل الشهداء الذين ساروا في درب الإمام الحسين عليه السلام ثانياً هؤلاء لهم عُهدة علينا، و في رقبتنا ولاية لهم؛ لأنهم هم الذين نقّحوا هذا

السبيل، هم الذين جعلوا السبيل إلى إدراك الحق صافياً سالكاً واضحاً للسالكين، هم الذين صبغوا هذا الطريق بدمائهم لكي نهتدي ولا تختفي علينا المعالِم ولا تختفي علينا القِيَم.

الشهادة مفهوم حي نابض ومؤثِّر

إذن الشهادة مفهوم حيوِي، مفهوم حي، مفهوم نابض و متحرِّك، وله فاعلية في قلوب المؤمنين، وفي قلوب الطائعين، وفي قلوب الراغبين في الهداية والرسالة.

ولهذا المفهوم مراتب أيضًا، فالإنسان الذي يخرج من بيته طالبًا لرزقه ويقع عليه الموت من غير إعتداء منه على أحد، هذا فيه نحو من الشهادة؛ أنه كان طالباً للفضيلة والحقيقة و الخير و الصلاح، فضلًا عن ذلك الشخص الذي يرفع صوته

مطالبًا بالعدالة راغبًا في إقامة الحق ويُعتدى عليه ويُتجرأ عليه ويُقتل بأي نحو من الإعتداء والقتل وبأي نسبة من الاعتداء، هذا فيه تثبيت للقيم وفيه تقرير للمعاني العالية؛ فتكون له فيه الصلاح لأنه فوق كل ذي بر بر حتى يُقتل هذا الإنسان في سبيل الله فليس فوقه بر.

لاحظوا أيضًا عندما نقول أن الشهيد ناظر لوجه الله وأن الشهداء هم الباب إلى الله وأن الشهداء ليس فوقهم بر، هذه المسألة أيضًا نسبية، أريد التأكيد على أنّ هناك درجات فالروايات التي تشير إلى أنّ (مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء)، ولكن أي مداد هذا؟! هذا الذي يثبّت المعاني العالية ويكتُبها لتصبح ذخيرة للتاريخ والأجيال اللاحقة، قد تقولون

كيف أن الشهادة برّ ليس فوقه بر، ومداد العلماء أفضل وأعظم؟

المسألة نسبية مداد العلماء كبير و عظيم، لكن ليس كل كلمة يكتبها العلماء، و إنما عندما تكون تلك الكلمة كلمة حق عند سلطان جائر، و تصدر من عالم فاهم عارف، بالتالي تُعدّ هذه أيضًا من المصطلحات التي يجب أن ننقّحها.

في بداية حديثي قلت أننا نحتاج اليوم إلى مراجعة كل المصطلحات، عندما نقول مؤمن، كافر، كما لاحظنا ليس المؤمن و الكافر هو هذا التأطير الإجتماعي من أنّ هذه الجماعة كفار و هذه الجماعة مؤمنين.. لا!، المؤمن الذي يعيش في عمقه غليان و حرارة الإيمان، و الكافر حتى لو وَضَع عمامة على رأسه

وحتى لو لبس ملابس علماء الدين و لكن قلبه جامد، قلبه ميت، هذا تتولاه الشياطين و الأهواء و الرغبات، و هو في حسابات القيامة كافر، (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ)، هنا عندما نقول (عالم)، سيتبادر إلى ذهننا أن العالِم يعني مُعَمم يعني شيخ يعني سيد؟ لا لا ! أنتم يجب أن لا تعيشوا هذه الإصطلاحات، مفهوم العالِم يعني العارف؛ ماذا يعني؟ يعني يقول كلمة حق، كما يعبر أمير المؤمنين عليه السلام بأن هذا حق مع مُحِق، هناك حق و هناك مُحِق، قد يرفع البعض شعارات حقّة كما فعل الخوارج ! ولكنهم يريدون أغراضًا فاسدة وقد يكون البعض هو طالب للحق كما هم الخوارج أيضًا كما

وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام أنه ليس من طلب الباطل فأصابه (جماعة معاوية) كمن طلب الحق فأخطأه (الخوارج).

بالتالي نحن لا نستطيع أن نقول أيهما أفضل: الصلاة أم الصيام؟ ولا نستطيع أن نقول أيهما أفضل: الزيارة الفلانية أم العمل الفلاني، و لا نستطيع أن نقول: أيهما أفضل: الدعاء أم قراءة القرآن؟! لا يمكن أن نعطي قواعد كلية في هذه الأمور، نعم! قد نعطي إشارات عامة، فنقول أنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام لها فضل كبير، و لكن قد يكون في بعض الظروف و في بعض الملابسات تكون صدقة بسيطة أفضل من الزيارة.

نحن لكي نعيش قيمة الإيمان و لكي ندرك معنى الشهيد والشهادة يجب أن نكسر حالة التأطير في فهمنا للأعمال

الشرعية و العبادات و الطاعات و للدين ككُل، يقال أن بعض العلماء توفي فرآه أحد تلامذته بعد شهور، رآه في المنام فقال له شيخنا أستاذنا سيدنا كيف بكم في الحساب و في القبر؟ و كيف صنع بكم و ماذا صنعتم؟ فقال له: يا تلميذي العزيز! لقد كسدَتْ سوق الأعمال و العبادات، لم تنفعني كُتُبي و لم تنفعني عبادتي، لم ينفعني شيء مما قدمته!، لاحظوا هذا عالم جليل و أستاذ كبير يُقِرّ و يعترف أن كل هذه الأشياء لا قيمة لها، بل نفعني صدقة في ذلك اليوم الفلاني، أي أنّ عملا بسيطاً قد يكون سبباً في غفران الله سبحانه.

إن الله تعالى أخفى ثلاثًا -أو في بعض الروايات أربعًا- في ثلاث أخفى مراضيه في طاعاته؛ لعله تأتي بطاعة -و لعله

مستحب ليس بواجب- فيقول الله لك لقد رضيت عنك، فاذهب واصنع ما شئت، فأنت من أهل الجنة، لا أغضب عليك أبدًا، فلا تستخِفّ بشيء من طاعات الله، وكذلك أخفى الله غضبه في معاصيه؛ لعله معصية بسيطة تستخِفّ بها، لا ترى أن لها أثرًا و تقوم بها جرأة أمام الله، و قد يكون هذا العمل مكروه أيضًا!، و قد يقال: هل عمل المكروه يؤدي بالإنسان إلى النار؟! بل حتى المباح إذا أتيت به على نحو من الإستخفاف و الإستحقار بعزة الله و جلاله, قد تقول لا شأن لي بأن الله يرضى أو يغضب أو أن تعيش هذا الشعور!!!، العلة تدور مدار مقاصدك و نو اياك و ما الذي يحركك عندما تأتي بهكذا عمل، نعم صحيح أنه عندما يقال أخفى الله غضبه في معاصيه فإن المقصود بمعاصيه هي

المحرمات أخفى غضبه في معصيته فلعله تأتي بمعصية فيقال لك اذهب غضب الله عليك ولا يرضى عنك أبدًا، مهما صنعت، فلا تستخف بشيء من معاصي الله، وكذلك أخفى الله أولياءه في عبيده؛ فلا تستخف فلعلّ رجلًا أشعث أغبر لو دعا الله بدعاء لأجابه، لا تستخِف بأحد ولا يغرّك أحد، لا تنظر إلى هيئة الناس فتحكُم عليهم من خلالها، أنت لا تستطيع أن تدرِك ما قلوب الناس، فلا تستخِف بأحد ولا تستعظم أحداً، وإنما يجب أن تقول الله أعلم بضمائر الناس، عليكَ أن تتعامل مع الجميع باحترام وبتوقير.

ما أريد أن أقوله أنّ هؤلاء الشباب الذين تقدموا بعفوية و ببساطة ليساهموا في المطالبة بحقهم، بالحق العام و بالفضيلة و العدالة، و بإقامة الفضل و الحق بأي مستوى كان، هم لم يطالبوا إلا بأن يكون لهم حياة كريمة كبقية الناس، و مع ذلك يُعتدى عليهم و يثبُتوا و تصل الأمور إلى درجة القتل و إزهاق الروح!، هذه عظيمة عند الله، هذه جليلة عند الله، و هي رفيعة عند الله أيضًا. هنا أتوقف عن الكلام عن الشهيد و الشهادة لكي أشير إلى أن حركة الشهيد و اختيار الله عز وجل لشخص أن يكون شهيدًا هذه من الأمور العظيمة، ليس أمرًا بسيطًا و لا سهلًا أن يصطفي الله إنسانًا ليكون شهيدًا، بل لها عند الله معاني كبيرة.

٣/ طريق فاطمة عليه السلام و مقاماتها العالية

أريد أن أنتقل إلى معنى آخر، أريد أن أزرعهُ في قلوبنا وقلوبكم و هو مقامات هؤلاء الشهداء أنا لن أستطيع أن أتحدث عن مقام الشهداء، أريد أن أتحدث عن الزهراء عليها أفضل الصلاة و السلام و بطبيعة الحال لن نستطيع التحدث عن مقام الزهراء عليها السلام لماذا؟ لأننا فُطمنا عن أن نعرف حقيقة الزهراء عليها السلام، فُطم الخلق عن أن يعرفوا حقيقة الزهراء عليها أفضل الصلاة و السلام، طبعًا هذا ليس من باب المبالغة و المباهاة، بل هذا من باب ما علَّمَنا إياه أهل البيت عليهم أفضل الصلاة و السلام، فقد روي عن الإمام الصادق عليه أفضل الصلاة و السلام: إنما سميت فاطمة لأن الخلق فُطموا عن معرفة

الزهراء عليها السلام، الروايات في هذا المعنى كثيرة بالنص أو بالمضمون، كلنا سمعنا بالتوصيف ما يجري على الزهراء عليها أفضل الصلاة و السلام يوم القيامة في المحشر عندما يحشر الخلائق جميعًا و ذاك اليوم المرعب المخيف حيث (تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا)[1] تعرفون أنتم ماذا يعني هذا الرعب الذي يجعل من المرضِع ليس فقط تشتغل عن رضيعها و إنما تغفله و تنساه ويخرج من قلبها، هذا بلا شك أمر مرعب جدًا ومَهول، هذا على مستوى القلب أما على مستوى الواقع فإنها حالة عظيمة جدًا، يجمع الله الخلائق كلهم في المحشر و تُقرَّب منهم الشمس إلى حد تكاد تطبخهم حرارة

---

[1] الحج/٢.

الشمس فيبلغ العرَق منهم مبلغه حتى يقول بعضهم ليت الله ينقلنا إلى النار؛ ما نظن النار أشد بأسًا من هذه الحالة، حالة شديدة مرعبة مخيفة، الناس فيها عراة لا ينظر أحد إلى أحد، الناس مشغولون بأنفسهم في هذا الموقف و في هذا الحال، يصِيح من بطنان العرش أيها الخلائق نكِّسوا رؤوسكم و غُضُّوا أبصاركم هذه فاطمة بنت محمد -صلوات الله عليها و على أبيها و على أبنائها- تجوز الصراط؛ تريد أن تعبُر، طبعًا البعض يتصور - هؤلاء الذين يعيشون حالة الفقه بأذهانهم- أنه أجنبي عن الزهراء و هي عليها السلام سوف تعبر فيجب أن لا ينظر إليها!، لا!؛ الكلام ليس هذا لأن هذا الموقف يشمل حتى أبناء الزهراء عليهم السلام، كل المحشر في ذلك اليوم السادة و غير السادة يُطلَب منهم

أن ينكّسوا رؤوسهم؛ لأن الرواية لا تقول غضوا أبصاركم تقول نكسوا رؤوسكم، تنكيس الرؤوس يعني عبارة عن المهانة و الدّونية، الناس كلهم ينَكِّسون رؤوسهم، طبعًا الزهراء عليها السلام ليس كبقية الناس عارية، كما تقول الروايات أنها تلبس من حُلَل الجنة و لباسها ما شاء الله، في بعضها لا تعبر مفردة تعبر في ٧٠ ألف حورية، أي هي لا تمشي لوحدها بل هي عليها السلام تمشي في كوكبة من الحوريات النقيات الطاهرات العاليات في هذا الوفد الرفيع المستوى تعبر الزهراء عليها السلام يتطلع الناس إلى هذا النور و إلى هذه العظمة راجين أن يحبوهم الله شيء من كرامتها، فتُلقي عليهم نظرة عليها أفضل الصلاة و السلام، كما أيضًا تصف الروايات هذا المشهد، فتذكر أن الزهراء عليها السلام في ذلك الوقت

تلتقط شيعتها، هذه الحالة من الضنّك والتعب، مَن الذي ينقذنا منها؟ ليست أعمالنا و ليست جهودنا، و ليست ذواتنا، هذا هو مقام الزهراء عليها أفضل الصلاة والسلام، ذاك المحظوظ الذي تقع عليه عين الزهراء عليها أفضل الصلاة و السلام و ذاك المرحوم الذي تلتقطه الزهراء عليها السلام في ذلك الوقت و كم من كائن تمنى لو أنه في الدنيا كوّن و أحدث عُلقة خاصة بهذا الكائن الحوري الإنسي، الذي سيكون له ذلك المقام الرفيع و الأثر يوم القيامة، لكي يحظى بهذه الحَظوة العابرة من الزهراء عليها أفضل الصلاة و السلام لينجو في الدنيا و الآخرة، و لينجو النجاة الأبدية.

أيهما أعظم في آفاقه : الإنسان أم العالم؟

إنّ مشكلة الإنسان دائمًا و أبدًا هي أنه يُعيّر الأمور بمعايير دنياه، ماذا يعني أنه يُعيّر الأمور بمعاير دنياه؟ يعني نحن كيف نفهم الجنة؟!، نفهم أنها شبيهة بالدنيا ، مثل المزرعة الدنيوية لكن قد تكون أوسع قليلًا، قد تكون أبهى قليلًا، فيها الفواكة و الأنهار، لا يذهب ذهننا إلى أبعد من ذلك، نتصور أنها أكبر مليون مرة، مئة مليون مرة. هنا نحن لا نحتاج إلى إيراد الروايات خاصَّة تلك التي تتكلم عن تلك العوالم، لأنه لن نستطيع أن نستوعب بعقولنا أو أن تتحمل قلوبنا توصيف تلك العوالم القدسية.

تعالوا لننظر إلى و اقع الدنيا، هذا الو اقع الذي نعيشه، نحن كيف نعيش؟ كيف نتصور الأمور؟ لاحظوا على مستوى المعايير المادية وعلى مستوى حياتنا الدنيوية، على مستوى عالمنا المادي ، نحن أين و في أين و من أين و إلى أين؟ لاحظوا في تاريخ الإنسان على مستوى السعه الزمانية، هل تعلمون أنّ الكرة الأرضية و هذا العالم المادي، كم عمر الكرة الارضية الآن؟ أي منذ كم سنة هي موجودة؟ الآن هذه مسائل علمية نرجع إلى الذين يدّعون أنهم يعرفون الجواب عنها، هل تعلمون كم يقدّرون عمر هذا العالم المادي؟! أربعة آلاف و ستمئة مليار سنة، هل تعلمون كم عمر الإنسان من آدم عليه السلام إلى اليوم؟ ٧ آلاف سنة، ليست ١٠ آلاف و لا ١٠٠ ألف و لا حتى

مليون سنة، تأمل في هذه الأعداد الضخمة! منذ متى الكون يُعَدّ و يُرَتب و يُهيّئ لك أنت أيها الإنسان؟ يعني نحن كم استغرقنا من هذا الوجود؟ استغرقنا اللحظات الأخيرة من هذا الوجود!، ليس أنا و أنت بل منذ آدم إلى اليوم، راجعوا التاريخ راجعوا الإدّعاءات البشرية. إنّ أول حضارة بشرية تعلمت الكتابة عمرها ٦٠٠٠ سنة، آدم قبل ٧ آلاف، أو ٨ آلاف سنة يعني أنّ المخلوق الحي لا يتجاوز ٣٠ ألف سنة! لنتأمل في هذا العالم القديم جداً على مر هذا الزمان، كم هو هائل في القدم، كم هذا الإمتداد البعيد البعيد البعيد، الذي لا نستطيع أن نتصور بُعده!، هذا على مستوى الزمان؛ أما على مستوى المكان أنتم أعرف منّي: كم تشكّل هذه الهباءة الصغيرة التي نسمّيها أرض،

كوكبنا الأزرق المُبجَّل، إنه مجرد نقطة بسيطة و بسيطة في درب التبانة التي هي نقطة صغيرة ضائعة، مثل هذه النجوم التي ترونها الآلاف منها؛ بل الملايين بل ملايين الملايين من النجوم، كلها لمعة من هذه اللمعات وهي درب كامل مثل درب التبانة ملايين الأجرام و الأفلاك، نحن نعيش فقط في هذا المكان البسيط، يعبِّر بعض علماء الغرب أنه لو لم تكن حياة إلا على هذه الكرة الأرضية وبهذه المدة المحدودة لكان إسرافًا وإسرافًا في المساحة زمانًا و مكانًا، لماذا هذه المساحات الضخمة؟ لأن الحساب في الآخرة سوف يستوعب هذه المساحة لأن الله جل و علا يقول: (لا تسعني أرضي و لا سمائي و لكن يسعني قلب عبدي المؤمن)، يعني أنا وأنت لنا قدرة على أن نتمدد في الإدراك و الوعي و

الوجود بحيث لا تستوعبنا الكرة الأرضية و لا يستوعبنا الوجود الشمسي و لا يستوعبنا هذا العالم المادي على سعته و عظمته.

يقال أن أحد الملائكة أراد أن يعرف كم سعة الجنة فاشتغل في نفسه و أراد أن يطير، تعرفون أنّ الملائكة تطير، هي مثلًا تنزل من السماء إلى الأرض في يوم نحسبه يوم من أيامنا التي أطَّرْنا أذهاننا بها، وهو ٥٠ ألف سنة مما تعدّون، أراد هذا الملك أن يرى كم سعة الجنة! فطار و طار حتى تعب، فاستراح ثم طار و طار حتى أخذ في ذلك أيام، و في بعض الأيام و هو يطير فإذا عبد من عبيد الله، إنسان يراه من أعلى قصره، قال له: ما تفعل؟ قال الملك: أريد أن أقيس سعة الجنة، فقال له: أنا أراك منذ

أيام و أنت تطير و لاتزال تطير في مملكتي فقط! لم تتجاوز مملكتي فضلًا عن أن تذهب إلى ممالك أخرى.

مقام الشهيد فوق أُطُر العالم الدنيوي

ماذا أريد أن أقول؟! هذه الدنيا لو كانت تسوى عند الله جناح بعوضة لما سقى منها الكافر شربة، عندما نتأمل في الدنيا نتعجّب ونتساءل: ما كلّ هذه الدنيا؟ أين نضعها أمام هذه العوالم الضخمة، ولكن الإنسان يبهره زبرجها و يتصور أنه إن قُتل ابنه أو أخيه فقد فاته الكثير، أين هذا مما يحظى به في عوالم الآخرة؟! عندما يذهب المؤمن إلى جنةِ مُلكِه، يجد فيها ما لا يستطيع أن يطويه مَلَك يطير أسرع من سرعة الضوء حسب فهمنا للمادة، حيث أنّ الآخرة لا تقاس بعالم الدنيا، المؤمن هو

ذلك الذي يعرف معايير الآخرة و يعيش معايير الآخرة، المؤمن الشهيد هو الذي يجرّ الآخرين إلى هذه القيم، الشهيد هو الذي يدعو إلى أن نعيش المعايير ، لا أن نعيّر الأمور كما يعيّر قارون الذي آتاه الله من المُلك ما آتاه، فقال الناس عنه إنه لذو حظٍ عظيم! لماذا يقولون ذلك؟ لأنهم لا يعرفون ماذا يعني الآخرة، لا يعرفون ماذا يعني المُلك العظيم، فيتصورن أنَّ هذا العدد المحدود من المفاتيح أو من الذهب و الفضة، هذا يشكّل مُلكًا عظيمًا، لو أنهم كانوا يعرفون مقام الزهراء عليها أفضل الصلاة و السلام التي في مسيرها الأخروي -وحتى الدنيوي ومن يسير بمسيرتها ويقتدي بها- تطهّر الخلائق كلها، تنكس رؤوس الخلائق كلها لكي تعبُر سلام الله عليها، فما بالكم بمقاماتها فما بالكم

بمُلكِها؟! فما بالُكُم بأتباعِها وأنصارِها؟! فما بالُكُم بشيعتِها؟! فما بالُكُم بأملاك الشهداء، فما بالنا بما سوف نحظى به يوم القيامة؟!.

كيف نفهم عظمة ثواب العمل الصالح بدون تأطير؟

مشكلة الإنسان أنه يعيش معايير دنيوية، من هنا نستطيع أن نفهم ماذا يعني ثواب العمل الصالح؟ ثواب العمل الصالح عظيم وعظيم وعظيم وعظيم وعظيم، لعله لا تستطيع بعض الروايات أحيانًا أن تزرع هذا المعنى في قلوب الناس، كما يقول الإمام عليه السلام أن زيارة الإمام الحسين عليه السلام تعدل حجة وحجة وحجة، فيتعجب الراوي، فيقول له الإمام عليه السلام بل ألف حجة و ألف حجة و ألف حجة!، مهما تقول لا تستطيع أن تبلغ عظمة

هذا العمل، لأنك هناك تحصل من الأجر و الثواب و الجزاء العظيم من الله عز و جل ما لا تستطيع الأرقام التي نعرفها و نتعامل معها على إحصائه، لأن الممالك ضخمة عظيمة.

مشكلة الإنسان أنه يعيش على هذه الأرض و على هذه الدائرة المحدودة؛ بل أكثر من ذلك نحن لا نعيش هذه الكرة الأرضية؛ بل نعيش في منطقة محدودة، فكل واحد منّا تحدّه مدينته وقرْيَته ويتصور أن هذا الوجود كله يدور مدار هذه القرية، و الحال ليس كذلك، إنّ هذا العالم و هذا الوجود عظيم و وسيع و كبير لا نستطيع أن نبلغه بأوهامنا و لكن تستطيع قلوبنا أن تبلغ هذه المساحات.

الجزاء الدنيوي و الأخري في سيرة فاطمة عليها السلام

الزهراء عليها أفضل الصلاة و السلام ليس جزاءها الدنيا لو أن الدنيا كلها لقمة ما كانت جزاءً للزهراء عليها أفضل الصلاة و السلام، أين نضع الدنيا أمام هذه الممالك العظيمة التي تُعطاها الزهراء يوم القيامة، هذه الدنيا ليست إلا هباءه في ظل مملكة الزهراء عليها أفضل الصلاة و السلام.

هذه الدنيا، ليس إلا جزء بسيط من حقوق المؤمن الذي يقدم نفسه و روحه فقط أريد تركيز هذا المعنى في نفوسنا لأقول لكم، أيتها المؤمنات: الإمام الحسين عليه أفضل الصلاة و السلام الذي هو ابن رسول الله و ابن الزهراء و ابن أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة و السلام، يُحرم شربة ماء، لا يريد أكثر من

ماء، و يزيد في لذاته يتنعم!! قد يُقال: أين العدالة الإلهية؟ أين الرفق الإلهي؟ أين التدبير الإلهي؟ هكذا يثور في نفوس كثير من الناس، هنا الإمام الحسين عليه السلام يقول لهم إنني أتنازل حتى عن هدوء بالي، لا يبقى لي مكان لرأسي إلا على رأس الرمح، و لكن أحظى برضا الله و أحظى بقرب الله عز و جل، أنتم لا تدرون بما اشترى الإمام الحسين عليه أفضل الصلاة و السلام هذه الحظوة و المقام عند الله، كم هو رقيق ما قدَّمه عليه السلام، هل من العدالة أن يتمتع يزيد و من سار على مسار يزيد؛ يتنعَّمون بالأراضي و الأموال و الملذَّات؟! هذا السؤال يتكرر كثيرًا على الألسُن، ما قيمة هذه الملذّات عندنا؟ لو يأخذون الدنيا كلها و يحرموننا حتى شرب الماء!! لقد حرموا الإمام الحسين عليه السلام

و حرموا أطفاله شربة الماء؛ و لكن الإمام الحسين عليه السلام يعرف هو ماذا يبيع و هو ماذا يشتري، عندما يعرف الشخص هو ماذا يقدّم و ماذا سوف يأخذ، تكون المعاملة هيّنة و بسيطة وسهلة جدًا عنده؛ بينما الذي تبقى في نفسه علقة الإرتباط بالدنيا لا يفهم و لا يستطيع أن يستوعب أنّ هذا الإنسان أصرّ و بقي مصرًا على هذا الطريق، حتى بلغ قمّة التضحية و العطاء. نحن نعشق هذا الطريق و نحب هذا الطريق و نتعلق بهذا الطريق لأنه هو طريق الرِّفعة و طريق التكامل.

نرجو من الله سبحانه و تعالى أن لا يحرمنا العلقة بالشهداء و بالزهراء و بالإمام الحسين و بالإمام الحسن عليهم السلام و بهذا الطريق اللامع البيّن السهل اللذيذ الطيب و أن لا

يتركنا لأهوائنا التي جعلتنا ننظر إلى هذه الدنيا بنظرة إكبار و نظرة إعجاب وبنظرة إبتهاج و هي لا تسوى عند الله جناح بعوضة.

نرجو من الله سبحانه و تعالى أن يمُنّ علينا بحق الزهراء عليها أفضل الصلاة و السلام و بحق دماء الشهداء التي هي في سبيله سبحانه رخيصة وبسيطة، بحق كل من سلك هذا السلوك طالبًا للحق و للفضيلة أن لا يتركنا لأنفسنا طُرفة عين أبدًا و يرحمنا و يحشرنا في زمرة محمد و آله، و الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى أهل بيته الطيّبين الطاهرين.

[٧]

الطريق إلى إدراك مقامات الزهراء عليها السلام

قال عز من قال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]

و قد ورد في ذيل هذه الآية الشريفة الحديث الشريف المشهور و هو قوله عز وجل: "يا ملائكتي و يا سكان سماواتي إني ما خلقت سماء مبنية ولا أرضًا مدحية و لا قمرًا منيرًا و لا شمسًا مضيئةً و لا فلكًا يدور ولا بحرًا يجري ولا فلكًا يسري إلا في محبة

---

[1] الأحزاب/ ٣٣.

هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء". فسأل جبرائيل ربه: "أن يا رب و من تحت االكساء؟" فقال الله عزوجل: "هم أهل بيت النبوة و معدن الرسالة هم فاطمة و أبوها و بعلها و بنُوها".

١/ مقام الزهراء عليها السلام لا تدركه العقول

إن مقام هذه الأنوار و هذه النجوم لا يدرك بالعقل و الذهن أو التجربة؛ ففي كل حقل علمي و معرفي آلية إكتشافية معينة، إنّ السبيل إلى معرفة الحقائق المادية الخارجية و معرفة قوانينها هو التجربة و البحث الميداني.

لكن الكلام هنا عن العوالم السماوية التي عادةً ما يكون النظر إليها بواسطة العقل المجرد، إلا أنه لا يخضع للإدراك العقلي الصرف، بمعنى أنه ليس للعقل سبيل إلى تجريب

موقعية الأشخاص و إنما هي من طوارق الظنون، أما في تحديد حقيقة الأشخاص وحقيقة و اقع إيمانهم فإنما هذا سبيله النقل و سبيل العارف بهذه الحقائق هو الله عزو جل بلسان نبيه صلوات الله عليه و آله.

في تشخيص موقعية الزهراء سلام الله عليها و التي نعيش هذه الأيام ذكراها فإنه بلا شك لا يمكن إلى التجربة و لا إلى أي لون من ألوان الإكتشافات المعرفية أن تخدمنا في معرفة حقيقة هذه الموجودة الإستثنائية، و إنما سبيلنا هو الإستسلام لما نُقل لنا عن النبي الأمين المصطفى ﷺ الذي لا تحرِّكه أهواء و لا أبُوَّة و لا مشاعر شخصية و إنما لايخرج من بين شفتَيه إلا الحق، ونحن نتنزل لاستكشاف هذه الشخصية من خلال

الروايات التي نُقلت لنا عن من عايش هذه الشخصية وعاشرها.

٢/ الزهراء عليها السلام : موجود إستثنائي

ننقل لكم رواية عن السيدة عائشة تقول: "ما رأيت من الناس أحدًا أشبه كلامًا و حديثًا برسول الله صلى الله عليه وآله من فاطمة، كانت إذا دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله رحَّب بها و قبّل يديها وأجلسها مجلسه".

طبعًا كان النبي صلى الله عليه وآله في غاية الأدب وفي غاية السمو في التعاطي، و لكن الرواية تحكي عن حالة إستثنائية و لذلك تم نقلها لنا، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله عندما كان يبش و يهش في وجه كل أحد فإنه لا يكون هناك حالة إستثنائية تستدعي الإفراد و

النقل و لكن هناك حيثيات خصوصية في تعاطي رسول الله ﷺ مع هذا الكائن السامي أي الزهراء عليها السلام استدعى من عائشة أن تُبرِز هذا المعنى: "كانت أي الزهراء عليها السلام إذا دخلت عليه رحّب بها و قام إليها و قبل يديها واجلَسها مجلِسه فإذا دخل عليها قامت إليه فرحَّبت به و قبَّلت يديه"

نقف على رواية في وقَفات وإشارات سريعة بحسب ما يسمح به المقام في هذا المجال.

يُروى أنّ الزهراء عليها السلام قد "دخلت عليه –أي رسول الله ﷺ- في مرضه - مرض الموت- فسارّها فبكت ثم سارّها فضحكت"، ولعل هذا المعنى طرق أسماعكم.

فقلتُ - أي السيدة عائشة -: "كنت أرى لها فضلًا على النساء" حيث كانت الزهراء عليها السلام و عائشة تعيشان في بيت واحد، هذه زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله و هذه ابنته، فكانت ترى لها أثر سلوكها كما عبرت هي: "لم أرى أحدًا من الناس أشبه كلاًما و حديثًا برسول الله من فاطمة" فكانت تحسب لها حسابًا خاصًا تقول: "كنت أرى لها فضلًا على النساء فإذا هي امرأة كسائر النساء، فإذا هي تبكي و إذا بها تنتقل لحالة أخرى".

أتصور أنّ هذا النوع من التقدير يحتاج تأمل؛ إذ أن المؤمن إذا بدا منه سلوك حسَن ثم برز منه سلوكاً آخر يستظهر منه أنه خلاف الأول فإنه الإنصاف يستدعي عدم إغفال كل ما سبق من سلوك حسن صدر منه! خصوصًا بلحاظ الظروف

المحيطة بالسلوك الجديد، وأن هناك مُسارّة لا ندري ما مضمونها! حيث أنّ أي عاقل عندما يرى مُسارّة بين شخصين فهذا يستدعي الحضور و الرغبة في الإطلاع، لكن أن يتم الحكم على الطرف المقابل و الجزم بأن حاله كحال بقية النساء من أنهن غير معتدلات فهذا غير مُنصف.

طبيعة فهم النساء و سلوكهُنّ

هنا أريد أن أقف وقفة للحديث عن فهم النساء بشكل عام بما أنّ الحديث الذي بين أيدِينا هو عن الزهراء عليها السلام.

لاحظوا السيّدة عائشة تقول: "كنت أرى لها فضلًا على النساء فإذا هي امرأة من النساء بينا هي تبكي إذ ضحكت"، هذا يتكرر في شأن النساء أنهن غير معتدلات، و أنهن يبكين في لحظة و

يضحكن فيما بعدها. هذا التصور في شأن النساء و إن كان بسبب كثرة النماذج غير المعتدلة في شأن النساء و لكننا نضاهي بنسائنا المؤمنات المتّبِعات للزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين؛ إذ أننا نؤمن أن شأن المرأة شأن الرجل أي أنها قادرة على سلوك طريق الحق و الفضيلة و الإعتدال. مجرد أن تكون هناك امرأة في طبيعتها أو حتى كثير من النساء ممن هنَّ بطبعِهِن غير معتدلات فإنّ هذه الكثرة لا تحكي عن الحقيقة و الميزان، نحن عندنا الحق مهما قلّ فإنه هو الميزان و المعيار، إنّ سبيل الكمال متاح و مفتوح للمرأة ، و عندنا الحجة البالغة ألا و هي الزهراء سلام الله عليها التي أثبتت كنموذج لهذا الكائن المتميز أن سبيلها إلى الكمال مصرّح و أن ترقيها في مراتب الكمال متاح و أنها

تستطيع أن تبلغ من مبالغ الكمال الإنساني ما يُذهل الإنسانية و ما تقف الإنسانية جمعاء خاضعة مُقرَّة لهذا الموجود أنه يستطيع أن يبلُغ مستويات كمالية عالية مهما تضافرت عليه أسباب المعاداة و الظّلم.

قالت: "كنت أرى لها فضلًا على النساء فإذا هي امرأة من النساء بينا هي تبكي إذ ضحكت".

هذا ظن عائشة في الزهراء (سلام الله عليها) و لكن لا تكتفي أن تظن ظنًا سيئًا و إنما باشرت فتقول: فسألتها: ما الذي قال لك رسول الله ﷺ؟" و هذا سؤال في غير محلّه؛ لأنه لو كانت تريد أن تجيب و لو كان رسول الله ﷺ يريد أن يخبرها لأفصح عما في نفسه من غير مسارّة، و إنما سارّها لخصوصية لها

فواضح أن المقام يقتضي أن لايسأل المرء عما جرى بين رسول الله ﷺ و ابنته و مع ذلك يبدو أن الفضول أخذ منها مأخذًا حيث أنها سألت ماذا قال لك رسول الله ﷺ ؟

فقالت الزهراء عليها السلام و بكل أدب: "إني إذن لبَذِرة" أي أنني لو كشفت لك و أخبرتك بما قاله رسول الله ﷺ لكنت مِمّن يُفشي السر، و ذلك لأن رسول الله ﷺ كما هو واضح من السياق لا يريد أن يقول لمن هو موجود في هذه الدائرة المكانية و لمن هو موجود في هذا البيت ما قاله لفاطمة بالمسارّة!، "فلما توفي رسول الله ﷺ تقول: سألتها" أي لا تزال هناك حالة من الإلحاح و الفضول بأن تعرف ما الذي جعل الزهراء عليها السلام تبكي و تضحك في آن واحد، فإذا كانت هي كسائر النساء عليها السلام تنتقل من

الضحك إلى البكاء كسائر النساء إعتباطًا يضحكن و يبكين بدون ضابطة، فلا حاجة لأن نعرف ما يبكيهن و ما يضحكهن و لكن هذه الزهراء، يعني أنّ السيدة عائشة تعلم في قرارة نفسها أنّ فاطمة ليست كسائر النساء تبكي و تضحك إعتباطًا حسب مُدَّعاها!، و إنما هناك حيثيات و هناك موجِبات لهذا الضحك، فهو ناشئ عن تعقل و إدراك لأمرٍ مّا و هناك مُوجب لهذا البكاء، فلما توفي رسول الله ﷺ قالت عليها السلام: "أخبرَني أنه يموت فبكيتُ ثم أخبرَني أنّي أوَّل أهل بيته لحوقًا به فضحكتُ".

و هذه الرواية التي تلهج بها عائشة بحد ذاتها تحكي عن مقام هذه المرأة التي يُضحكها أنها سريعة اللحوق برسول الله ﷺ، يُضحكها أنها ستترك هذا العالم، تترك هذه الدنيا التي

قلَتها و أبغضتها و تلتحق برسول الله ﷺ. هذه الموجودة التي ذهب ظن الآخرين بها، بلغ بها الضعف بلغ بها معاملة هؤلاء الطغاة الجفاة كما عبّر عنهم رسول الله ﷺ في الحديث الثاني الذي أنقله على مسامعكم و أكتفي بهذا المقدار.

٣/ الزهراء عليها السلام بين إدراك مقام النبوة و تعظيمه

لمّا نزل قوله تعالى: (لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضا)[1] إذ كانت الأعراب الغلاظ الجفاة ينادونه من بين الحجرات أنْ يا محمد أقبل إلينا، أنْ يامحمد افعل، فنزلت هذه الآية أن لا تنادوا رسول الله ﷺ كدعاء بعضكم بعضًا برفع الصوت و بالطريقة البدوية القاسية الغليظة والاسم الجاف.

---

[1] النور/٦٣.

قالت الزهراء عليها السلام: "لما نزلت هذه الآية رهبتُ رسول الله صلى الله عليه وآله "يعني خفتُ أن أتعامل معه في أقل من شأنه و أخدش من مقامه" رهبت رسول الله صلى الله عليه وآله أن أناديه: يا أبه، و كنت أقول: يا رسول الله، فأعرَضَ عني مرة أو مرتين أو ثلاث، ثم أقبل عليّ فقال: يا فاطمة إنها لم تنزل فيكِ" هذه الآية لا تخاطب أهل الأدب و أهل السلوك، إنها تؤدِّب و تقنن هؤلاء الغلاظ الجفاة، إنما أنت بحمد الله رقيقة واعية مدرِكة (إنها لم تنزل فيك و لا في أهلك و لا نسلك، و أنتِ مني و أنا منك، إنما نزلت في أهل الجفاء و الغلظة من قريش، و أصحاب البذخ و الكبر). هؤلاء الذين يسلكون هذا المسلك الخشن لا عن جهل فقط، إنما عن كبرياء

و كبر، (أمّا أنتِ فقولي لي يا أبه، فإنها أحيا للقلب و أرضى للرب).

الزهراء عليها السلام بلغ بها من الرقَّة أن تخاف أن تخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله بهذا النداء المحبّب إلى قلبه و الرقيق، لاحظوا حتى هذا المستوى من الرقة و الأدب و فن التعاطي ترى الزهراء عليها السلام أنه قد يخدش مقام الرسول صلى الله عليه وآله فتتجافاه و تستبدله بما تظنه أقرب لشأن النبوة من المناداة بيا أبه.

أخيرًا نقول أن نقاشنا حول الزهراء عليها السلام ليس في أنها تملك فدكًا، ليس في أنَّ لها هذا المقام أو ذاك، ليس في أفضليتها هنا أو هناك و إنما السبيل إلى معرفة هذه الموجودة و إدعاء مقاماتها إنما هو من خلال الروايات الواردة عنهم، والنصوص و

هذه التوجيهات المعصومة من الرسول ﷺ التي تذكر مقامها و تشير إلى بعض حقيقتها؛ لأن إدراكنا و إدراك العقول إنما هو بقدر ما أحاطوا به علمًا و أنَّى لنا أن نحيط بهذه الموجودات التي تمتعت بهذا المستوى العالي من الصفاء و النقاء و من هنا لا ندّعي إذا قلنا أن هذه الموجودات هي سبيلنا إلى الله و وسيلتنا للتقرب إليه عز و جل لأن الله جعل لها هذه الخصوصية، و جعلها هي السبيل.

أخيرًا نتوجه إلى الله جل و علا بحق هذه النقية بفاطمة و أبيها و بعلها و بنيها و بالسر المستودع فيها المكنون في حقيقتها أن ينظر إلينا نظرة لطف وعفو، يهدي قلوبنا لكي تنشرح لحقيقة هذه الموجودات فإن كمال الإنسانية إنما هو في القرب من هذه

الأعيان الطاهرة النقية، والحمدلله رب العالمين و صلى الله على محمدٍ وآله الطاهرين.

[٨]

الزهراء عليها السلام كمال و مسؤوليات

السلامُ عليكِ يا مُمْتَحَنَةُ امْتَحَنَكِ الله الَّذِي خَلَقَكِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَكِ فَوَجَدَكِ لِما امْتَحَنَكِ صابِرَةً.

يروى عن ابن عباس أنه سمع الزهراء عليها السلام تقول لأبيها النبي صلى الله عليه و آله و هو في آخر ساعات هذه الدنيا و في سكرات الموت قالت له: يا أبه أنا لا أصبر عنك ساعة من الدنيا، فأين الميعاد غداً؟ قال: أما إنك أول أهلي لحوقاً بي، والميعاد على جسر جهنم، قالت: يا أبه أ ليس قد حرم الله عز و جل جسمك و

لحمك على النار؟ قال: بلى و لكني قائم حتى تجوز أمتي، قالت: فإن لم أرك هناك؟ قال: تريني عند القنطرة السابعة من قناطر جهنم، أستوهب الظالم من المظلوم –يعني أترجى المظلوم أن يهب حقه في الظلامة من الظالم-، قالت: فإن لم أرك هناك؟ قال: تريني في مقام الشفاعة و أنا أشفع لأمتي، قالت: فإن لم أرك هناك؟ قال تريني عند الميزان و أنا أسأل الله لأمتي الخلاص من النار، قالت: فإن لم أرك هناك؟ قال: تريني عند الحوض، حوضي عرضه ما بين أيلة إلى صنعاء، على حوضي ألف غلام بألف كأس كاللؤلؤ المنظوم، و كالبيض المكنون، من تناول منه

شربة فشربها لم يظمأ بعدها أبدًا، فلم يزل يقول لها حتى خرجت الروح من جسده ﷺ.[١]

١/ الزهراء أُم هذه الأمة

عاشت الزهراء في كنف أبيها حيث كان يضمها و يربيها و ينميها، و لكنه لم يكن كنف أب و أم و إنما كان كنف رسالة و من هنا نمت و تربت في هذا الجو، جو الرسالة و الدعوة و الحركة و الأمة. فلم تعش الزهراء في آنٍ مّا من عمرها همّ ذاتها و شأنها الخاص بل كانت تعيش هَمّ الرسالة والدعوة منذ أن كانت طفلة صغيرة في مكة في أيام الدعوة الخفيّة عندما كان الرسول ﷺ مستترًا في دعوته و كان يلاقي الأمرّين من جهلة المشركين و

---

[١] كشف الغمّة، ج١: ٤٩٧.

الكافرين و كما سمعتم أنه عندما كان يلاقي الأذى كان يرجع إلى بيته مهمومًا متألمًا مما يلقاه من غلظة وخشونة حيث تُلقى عليه الحجارة و عندما يسجد تُلقى عليه بقايا الكبش و الشاة سلام الله عليه، فتأتي الزهراء سلام الله عليها فتملأ هذا الوجود المحمدي بمشاعر الأمومة و كانت تنطوي على المقدار المتوفر من الإحساس بالأمومة حتى أنّ الرسول يجد فيها دفء الأمومة فيقول (بأبي هي و أمي)، و هذه الألفاظ التي تصف مقامها سلام الله عليها كما يقول الرسول صلى الله عليه وآله: أم أبيها، يعني أنها بلغت من الإحساس و المشاعر بحيث تضفي على رسول الله صلى الله عليه وآله ما كان يحتاجه في هذا الطريق من دعم روحي في سبيل الدعوة إلى الله.

و كانت تعيش كأبيها همّ الناس و إنقاذهم و تعيش ألم جفاء الناس، في كل آن كانت تتألم عندما تأتي هذه الإضاءات و الهداية و هذه الدعوة الخالصة، هي تتألم للناس كيف أنهم يواجهون هذا الإخلاص و العطاء و النور بجفاء و غلظة! إنها تبكي لهم و عليهم لا منهم، و هذه هي طبيعة الأم و نكهة الأمومة، الأم لا تبكي لأنها تتأذي من ابنها و إن كان يُؤذيها بشتى أنواع الإيذاء، لكنها تبكي عليه و له، و إذا كان الرسول صلى الله عليه وآله هو و علي عليه السلام أبوا هذه الأمة و هي أم أبيها فحري بها أن تكون عليها السلام أُم هذه الأمة.

٢/ أمومة الزهراء أمومة أُمميّة أُخروية

يقول الإمام الحسن عليه السلام: رأيت أمي فاطمة في ليلة الجمعة تبقى قائمة جالسة داعية باكية مصلية حتى تطلع

الشمس و ما رأيتها تدعو لنفسها، كانت تدعو لجيرانها و معارفها و للناس و أمة أبيها، يقول لها الإمام لم لا تدعين لنفسك، فقالت عليها السلام: يا بني الجار ثم الدار، هذا المستوى العالي من الإحساس و الإدراك، تارة يدور في عالم الدنيا و يحده هذا العالم و أخرى تكون أمومة إنسانية و ليست أمومة غريزية تكوينية، كل الأمهات يعِشن هذه الأمومة الغريزية لكن هناك أمومة أبعد من ذلك (يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ...)[1] الأم تستفدي نفسها بابنها و الأب كذلك، أما الزهراء فتقول الرواية أنها سمعت بأن أباها زوجها و جعل لها دراهم مهرًا لها، وقد علمنا أن الرسول جعل لها بضعة دراهم محدودة مهرًا لفاطمة

[1] المعارج/ ١١.

عليها السلام، فقالت يا رسول الله، إن بنات عموم الناس يتزوجن بالدراهم فما الفرق بيني و بينهُنّ؟! و إنما أسألك أن تردَّها و تدعو الله تعالى أن يجعل مهري الشفاعة لعُصاة أمّتك. عادة في هذا السن أي إنسان تأتيه حالات و نوبات يعيش فيها حالات همّه و شأنه، الرسول اشتغل في شأن زواج الزهراء عليها السلام و تهيأة الأسباب لها، يأخذ لها مهرًا من أمير المؤمنين عليه السلام و لكنها في هذه الحال تقول أسألك أن ترُدّها و تسأل الله تعالى أن يجعل مهري الشفاعة لعصاة أمَّتك، فنزل جبرائيل عليه السلام و معه طاقة من الحرير مكتوب فيها جعل الله مهر فاطمة شفاعة المذنبين من أمة أبيها!، لم تتوقف المسألة إلى هنا، بل بقيت الزهراء سلام الله عليها تعيش همّ الأمة و همّ الناس، فلما احتضرت و هذه الساعة

تكون عادة ما يكون الإنسان أكثر ارتباطًا بأحاسيسه و مشاعره و انشغالًا بنفسه، لاحظوا العظيم من الناس كيف يكون كريماً و شهماً و ذو همة عالية و تَطلُّعات، لكنه ينشغل بذاته في ساعة الإحتضار و الموت و مغادرة الحياة الدنيا أما الزهراء عليها السلام تقول الرواية أنها لمّا احتضرَت أوصت بأن تُوضَع تلك البطاقة -أي بطاقة الشفاعة التي جعلها جبرائيل مهرًا لها- على صدرها و تحت الكفن، فوُضعت و قالت إذا حُشِرت يوم القيامة رفعتُها بيدَيّ و شفعتُ في عُصاة أمَّة أبي.

٣/ مسؤولية الزهراء عليها السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله

إذن الزهراء ما كانت في آن من الآنات تعيش همَّها الشخصي ومشاعرها الخاصة و ذاتها، من هنا عندما توفي

رسول الله ﷺ ، ماذا كان يعني لها فقد رسول الله ﷺ؟ يعني انقطاع مدد السماء عنها، تصوروا كل الوجود الإنساني وكل ما فيه من مستويات من نبات و حيوان و إنسان كله يتمتع بالخير ببركة وجود الرسول ﷺ، و مع وفاة الرسول ﷺ ينقطع هذا الفيض الإلهي، لا أن الفيض الإلهي المطلق ينقطع، بل هناك نحو فيض خاص و رحمة خاصة و مدد خاص ينقطع بانقطاع الرسول ﷺ و هو نوع من المغفرة كنا نتمتع بها بوجود الرسول ﷺ، الزهراء عليها السلام تدرك هذا المعنى و تعيشه و تعيش أن هذا المدد الرباني و الفيض الإلهي قد ارتفع بارتفاع الرسول ﷺ، لم يرتفع عن مجموعة أفراد كانوا في ذلك اليوم إن الزهراء لم تكن محدودة الهمّ بمجموعة من الناس بل كانت تعيش همّ الإنسانية

و على مسيرتها العامة. هنا ندرك ماذا يعني موت الرسول صلى الله عليه وآله على قلب الزهراء عليها السلام إنها لا تعيش ألم أن يُعتدى عليها و قد اعتُدي عليها!، إنها لا تعيش ألم أن يتجرّأ بعض العصاة الذين اعتدوا عليها و على أبنائها بل هي تعيش ألم ماذا سيكون مصير أبنائي الذين سيأتون بعد سنين من الدهر كيف سيهتدون؟

إننا نعيش حالة من الغفلة و القسوة و الإنقطاع عن الله عز و جل. نحن قد لا ندرك أثر هذه الحالات على نفوسنا، إنّ حالنا يشبه حال الطفل عندما يكون أمام امتحان نجده يلعب و يلهو ، وهو يشعر بحالة من اللهو و اللعب و الأنس بينما الأم تدرك أن هذا ليس في مصلحته، أو عندما يقوم الطفل بعمل يؤدي به إلى الإصابة بمرضٍ مّا أو يأكل ما يشتهي مما يضرّه، فإنّ

الأم قلبها ينبض بالمحبة و العطف على ابنها الذي يُتلف نفسه بنفسه، هذا في دائرة الأم التي تربي طفل أو طفلين أما فاطمة الزهراء عليها السلام التي كانت تعيش منذ بدء الرسالة من التفاعل و الشعور و الإحساس بمشاعر الناس و تحمّل همّ مصالحهم، كم تنمو عندها آمال و طموح رجاء أن يُنقذ الله الإنسانية بنور أبيها و بعلها، و الأم ترجو أن تسير الأمة في سبيلها إلى النجاة و كانت تتابع حركات هذه الرسالة خطوة بخطوة، كانت تعيش الرسالة بكل نبضاتها و أحاسيسها حتى بلغ بها الأمل أن يكون استمرار هذه الرسالة على يدي أمير المؤمنين، والدها جاء برسالة إنسانية عالمية أنتم تسمعون الجبت و الطاغوت هم هؤلاء الذين حرفوا رسالة نبي الإسلام هذا المقدار من القبح و

الشناعة التي أصيبت بها مسيرة هذه الرسالة العظيمة و هذه الخطة الإلهية الجبارة لإنقاذ الإنسانية ككل، هذه الإصابة أول ما أصابت، فإنها قد أصابت قلب الزهراء سلام الله عليها، تصوروا أن تشعر الزهراء بكل ألم من آلامنا التي نعيشها نحن اليوم و كل ألم يعيشه إنسان في آنٍ مّا مع اختلاف المستويات في الإدراك و الإحساس، لاحظوا الروايات التي تذكر أنه لا تصاب قدم إلا بسبب الأول و الثاني، الزهراء تدرك آثار هذا الذي حدث. هي في الوقت الذي تعيش فيه ارتفاع النبوة و انقطاع المسيرة النبوية، كانت تقول لجابر كيف طاوعتكم أيديكم على أن تدفنوا رسول الله صلى الله عليه وآله في التراب، إنّ قلب الزهراء عليها السلام يدرك ماذا يعني النبي صلى الله عليه وآله لكل عوالم الوجود.

امرأة شابة تعيش هذا الهَمّ و الوجَع و إذا بها تُفاجأ بمن يقتحم عليها دارها و يهتك خِدرها و يثير مشاعرها، هي تعيش هم هؤلاء العصاة تدعو الله أن يُنقذهم و إذا بهم يتجرؤون عليها طلباً لبعض لذَّة الدنيا، كيف تتوقعون أن تكون حياتها ومشاعرها؟! لقد زهدت نفسها من هذه الدنيا، الزهراء عليها السلام لم تكن مريضة مرض يُميتها، إلا أنّ روحها أبَت أن تبقى في هذا العالم و لقد قالت: (إني لدنياكم قالية) لا أرغب في هذه الدنيا.

قيمة كل موجود بمقدار هَمِّه

لقد كان الموت لها كمالاً و رفعةً و طريقاً للنور و لكن عندما تصاب الإنسانية في حركتها و ذاتها، فإنّ هذا الإحساس و الشعور و الحياة، يعطي الموجود قيمته الو اقعية.

قيمة كل موجود تتحدد بمقدار ما يعيش همّ الآخرين بل أنه كلما تسامى و ارتفع و تعالى من أن يعيش همومه الشخصية، تُصبح هذه الهموم بسيطة و تافهة، لاحظوا كم من الخصومات تقع بيننا على أسباب تافهة بسيطة، كم من خصومة تقع بين الزوج و زوجته على جدال تافه، كلما عاش الإنسان هذه المعاني الرفيعة العالية فإن كل ما سواها يتصاغر في عينه.

الزهراء عليها السلام تجاوزت المرحلة الدنيوية و كانت تعيش هَمّ أن تأخذ بيد الإنسانيّة، كانت ترجو أن يكون هناك سبباً كي تسير الإنسانية في طريقها إلى سواء السبيل و إذا بها تُواجَه بجريان الأمور باتجاه الإنحراف، هنا لا نقصد أنها لم تكن مطّلعة على الأحداث من رسول الله صلى الله عليه وآله لكن كم هو فرق بين أن يُقال لك

سوف يحدث الحدث الفلاني و بين أن تشاهده و تراه و يقع في الخارج!؛ و لتوضيح المسألة: لاحظوا لو قيل لك أنه سوف يموت ابنك و لا مجال لإنقاذه، قد يكون هناك توطين للنفس و لكن عندما تشاهد الحدث و تباشره فإنك لا تتمالك أن تتألم ألماً أشدّ من ذلك الألم الذي كنتَ توطِّن نفسك عليه، و هذا ما حصل للزهراء عليها السلام، كانت تتوجع و تعلم أن الأمور ستنتهي بالإنحراف لكن قلبها لم يتمكن من أن يتحمل الوقائع على ما هي عليه، و لذلك قالت لجابر: كيف طاوعتكم أيديكم أن تهيلوا التراب على الرسول صلى الله عليه وآله مع أنها تعلم أنّ الميت يُدفن و يهال عليه التراب، تعلم أن هذه الأمة ستنحرف لكن هذا الإنحراف عندما وقع جرح قلبها، و آذاها كل أذية، لم تتحمل أن تنظر لعلي عليه السلام و

هو يُربَط بالحبال و يُجَرّ، إن المسألة ليست مسألة أنّ علي يُجر و عمر يَعتدي و إنما كانت القضية أنه كيف ستسير الأمة؟! و من هنا كانت تدعو الله جل و علا في لياليها أن يهدي هذه الأمة و يُصلحها، بالرغم من كل ما أصابها من هذه الأمة و كما تعبر الروايات حيث أنه قد أطبقت الأمة على ظُلمها و كأن هناك توافق بين من باشر بالظلم و من رضي و سكت حتى من تلاهم من الزمان حتى في هذا الزمان من لا يتألم على هذه الوقائع و من لا يتحسس من هذه الوقائع، فهؤلاء ممن أطبق على ظُلمها، ومع هذا فإن الزهراء عليها السلام عاشت هَمّ الرسالة.

٤/ مسؤولياتنا بإزاء النموذج الإنساني الفاطِمي

إنّنا نعيش ذكرى هذا النموذج الإنساني وله طعم وحالة من البكاء والحزن لكن يجب أن نفكر إلى أي مدى استفدنا من هذا الموجود الإستثنائي؟ إنّ الزهراء عليها السلام حُجّة على الرجال كما هي حُجّة على النساء، هذا النموذج عندما تسامى وترقّى أصبح له أثر سواء على مستوى الحركة الكمالية الدنيوية أو على مستوى الآخرة.

نحن يجب أن نقرر من الآن أن ننطلق في مسيرة الزهراء عليها السلام وعلينا لكي ننطلق انطلاقة حقيقية واقعية أن نعرف ماذا نمتلك من هذه النماذج النقية الصافية التي تشكل النبراس الواضح للسلوك؟ أول المسالك هو أن ننطلق من الوجدان وأن

نجعل عالم الوجود في عالم الوجدان، هذا عالم واسع و طويل و له مقامات و مراتب، نحن جَهلة في هذا العالم –عالم الوجدان- الذي هو في أعماقنا، نحن حتى اليوم نجهل و اقعنا الروحي لذلك لا ننطلق في سبيل الرِّفعة و الكمال الروحي ثم لننفتح على عوالم الغيب كما يقول علي عليه السلام إنني بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض هذه عوالم رفيعة، إننا بحاجة إلى أن نخصص جزءاً من حياتنا للسلوك في تلك العوالم و ذلك بأن نتجاوز شؤوننا الأساسية الخاصة والذاتية و أحاسيسنا الذاتية في عوالمنا المحدودة، و لنعلم أنّ كل شعور يدخل في حساب الدنيا سيجعلنا نلتصق بها ونتثاقل عن السلوك إلى الآخرة، يجب أن نتجرد من هذه المشاعر الذاتية. يقول أهل السلوك أنّ التخلي

قبل التحلي، يعني يجب أن نقطع علاقتنا بالأغيار، إنّ كل ما نميل إليه و هو رابط من روابط و علائق هذه الدنيا فإنها في الحقيقة ليست إلا أثقال تجرُّنا أن نعيش ذواتنا، (اللهم إني أستغفرك من كل لذة في غير ذكرك)، كل لذة غير الذكر هو معصية.

٥/ الزهراء و مدارج العروج الإنساني

الزهراء تجاوزت هذه المرحلة بحركة إنسانية عميقة أدخلتها في عالم الغيب. ثم باعتبارها امرأة ذهبت في عوالم الغيب كلّ مذهب حتى بلغت و أصبحت حورائية ذات طعم و رائحة و نكهة أُخروية و ليست من عوالم هذه الدنيا، لكن هذا يحوجها إلى الرقة في الإحساس و اللين في العاطفة، وإلى سعة في

آفاق المحبة حتى استطاعت أن تستوعب بمشاعرها كل أفراد هذا الوجود بما فيهم أولئك العصاة الذين ظلموها و تجرؤوا عليها!. كانت تقول لسلمان في الوقت الذي ترى علياً يُجَرّ و ترى بيتها يُجمع عليه الحطَب، و هي في حالة الإنكسار من انقطاع السماء عن الأرض بذهاب الرسول صلى الله عليه وآله، كانت تقول لسلمان لو شئت لدعيتُ على هؤلاء و أطبقتُ هذه بهذه، حيث كانت تشير إلى جبلين في المدينة، وأنها كانت قادرة على أن تُطبِق هذين الجبلين، تصوروا أنكم في نزاع وفي خصومة مع شخص، و وصلت الخصومة بينكما إلى مستوى عالٍ جداً، مع ذلك فإنكم من باب اللطف و اللين تمتنعون من أن تُطبقوا عليه أحجار المدينة، هذه الحالة من الرفق و اللين و الإنسانية و الترفع هو

أملنا و تطلُّعنا و هو ما نعيش في ظلِّه و نتنفَّس من خلاله، على أمل أن ننجو بهذا الوجود الرَّوحاني و إلا فإننا (اللهم كلما نظرتُ إلى ذنوبي فزِعت وكلما نظرتُ إلى كرمِك طمعت)، و أعلى مراتب كرم الله هو شفاعة الرسول ﷺ (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ)[١] هذه هي أدعى آية لإثارة الرجاء في النفوس، أن نعلم أنّ الله عزو جل لا يعطي رسوله إلا ما يُرضيه و قد جاء في دعاء أبي حمزة الثمالي أن دخولنا النار و إن كان يرضي الشيطان لكنه لا يرضي رسول الله ﷺ؛ لأنه هو و ابنته سلام الله عليهما يريدان أن يُنعِم الله علينا بالنجاة والخلاص من هذا الوجود المُظلم، القضية ليست ناراً و جنة، بل القضية هي أننا نعيش الظلمة،

---

[١] الضحى/ ٥.

النار تعني أن ننقطع عن الله، أن نبقى في وجود سرمدي دائمي من غير ارتباط بعالم النور و الخير و البركة و نبقى في ذواتنا و ظلماتنا الداخلية وهذا معنى أنها (نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾)[1] لأنها تُزرع منّا فنحن نصبح حجر جهنم و نكون سبباً لاشتعال النار!، هذا ما تعيشه الزهراء عليها السلام و ما تُدركه و تُدرك كم نحن نُسِيء إلى أنفسنا!، لذلك هي لا تستطيع أن ترتاح أو تنام بل تقوم ليلها، تدعو الله جل و علا أن يُنقذنا من هذا المصير المُظلم، إنها تعيش هذا الهَمّ في الدنيا، فكيف بها حينما يقال للناس نكّسوا رؤوسكم فقد جاءت فاطمة يوم القيامة؟، و هناك تلتقط شيعتها كما يلتقط الطير الحب

---

[1] الهُمزة/ ٦و٧.

الصالح من الحب الفاسد، حينذاك سيكون كل أملنا وكل طمعنا في أن نحظى بنظرةٍ خاطفة من الزهراء عليها السلام فنسعد و يستنير وجودنا بنورها الحق، نرجو من الله أن يوفّقِنا للارتباط بالزهراء سلام الله عليها في الدنيا عملاً و في الآخرة شفاعةً و الحمد لله ربِّ العالمين.

[٩]

السيدة الزهراء عليها السلام ويوم المرأة العالمي

قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[١]

نحن في هذه الأيام نعيش ذكرى ولادة سيدة نساء العالمين سيدتنا الزهراء سلام الله عليها، و قد جرت العادة أن يُحتفل بيوم المرأة العالمي في يوم ولادة الزهراء عليها السلام.

---

[١] الرعد/ ١٩.

موقعية المرأة في النهضة الإجتماعية

سابقاً كانت موقعية المرأة في الشأن الإجتماعي و الفكري من القضايا الحَرِجة والحسَّاسة، إلا أن لها دوراً هاماً في بناء النهضة الإجتماعية و الإنسانية، و من هنا ارتأيت أن تخصص هذه الأيام للحديث عن شخص الزهراء سلام الله عليها من جهة و ما يمكن أن نتلمس من و اقع الزهراء و تطبيقه على و اقعنا الإجتماعي عموماً و على و اقع النساء على وجه الخصوص.

العلم : هو معيار التفاضل البشري

الملاحظة الأولى التي تلفت أنظارنا عندما نقرأ الآية الكريمة : (أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) هو أنّ معيار التفاضل البشري هو

العلم، و هذا واضح و هو مما أكد عليه الإسلام بصِيَغ مختلفة و أساليب كثيرة، (مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء) لأن مداد العلماء عندما يكون كله توجيه و إرشاد و نشر للحق و الفضيلة فإنه لا يضاهي دماء الشهداء في الفضل و الكرامة. عندما تتكلم الروايات عن العلم لعله يتبادر إلى أذهان الكثير منّا أن العلم يساوي الفقه و أنّ الفقه يساوي الأحكام الشرعية التفصيلية، نعم هذا نحوُ علمٍ، و لكن حقيقة العلم أوسع من ذلك -و هذا ما كررناه كثيراً- حيث أنّ ما يتكلم عنه النص هو أن العلم معرفة أغراض الدين و فهم الوجود ككل، و ليس معرفة الأحكام الشرعية إلا مرحلة من مراحل هذا الفهم و نتاجاً للعلم، لأن الإنسان إذا فهم أغراض هذه الخليقة و فهم موقع هذا

العالم وامتدادات العوالم عندها سيعرف موقعية الأحكام الشرعية، لعلنا ذكرنا الرواية التي تنقل أنّ النبي ﷺ سأل أصحابه عن ما هو خيرٌ للنساء؟! فلم يجد جواباً عندهم و عندما وصل السؤال للزهراء عليها السلام قالت: خير للنساء أن لا ترى الرجال و لا يراها الرجال. من علَّمَها؟ من أرشدَها؟، عندما قيل للرسول ﷺ ما قالته فاطمة، قال هذا هو علم الزهراء، هذه الدانة التي امتلكت حقيقة العلم والمعرفة، أنا لستُ في صدد إبراز آفاق علم الزهراء عليها السلام حيث أنني لا أستطيع ذلك، لكن لنتأمل في ما يمكن أن نتأمل فيه.

بعض آفاق علم الزهراء عليها السلام

لعلنا قرأنا خطبة الزهراء عليها السلام التي تعطي إضاءة واضحة عن مستوى عمق علوم الزهراء عليها السلام، تقول في خطبها و ما أجملها من خُطب و إشارات يقف بين يديها العلماء بعجز و انبهار، تقول: (الْحَمْدُ للهِ عَلى ما أنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ على ما أَلْهَمَ،) أنا سوف أتجاوز كثير من الإشارات في الخطبة، تقول: (الْحَمْدُ للهِ عَلى ما أنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ على ما أَلْهَمَ، وَالثَّناءُ بِما قَدَّمَ، مِنْ عُمومِ نِعَمٍ ابْتَدَأها، وَسُبُوغ آلاءٍ أسْداها، وَتَمامِ مِنَنٍ والاها، جَمَّ عَنِ الإحْصاءِ عدَدُها، وَتَفاوَتَ عَنِ الإدْراكِ أَبَدُها، هذه النّعم التي لا يمكن إحصاؤها أو حتى إدراكها، ثم تقول: وَأَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، كَلِمَةٌ جَعَلَ الإخْلاصَ تَأْويلَها)، يعني من

أراد هذه الكلمة لابد من أن يتحقق فيه الإخلاص، (وَضَمَّنَ الْقُلُوبَ مَوْصُولَها، وَأَنارَ فِي الْفِكَرِ مَعْقُولَها). إنّ مِن أفضل نِعَم الله هو أنه زرع التوحيد في قلوب الناس وليس فقط زرعها و إنما (وَضَمَّنَ الْقُلُوبَ مَوْصُولَها، وَأَنارَ فِي الْفِكَرِ مَعْقُولَها، الْمُمْتَنِعُ مِنَ الإبْصارِ رُؤْيتُهُ، وَمِنَ الْأَلْسُنِ صِفَتُهُ، وَمِنَ الأَوْهامِ كَيْفِيَّتُهُ).

هنا لابد أن نشير إلى بعض مقاصد هذه العبارات، فالمسألة ليست تفنن بالألفاظ و إنما هي معاني عالية لها آفاق متعددة تشير فيها الزهراء عليها السلام إلى أسرار من هذا الوجود، ثم تقول: (اِبْتَدَعَ الأَشْياءَ لا مِنْ شَيْءٍ كانَ قَبْلَها...، وَأَشْهَدُ أنّ أبي مُحَمَّداً صلّى الله عليه وآله عبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اخْتارَهُ وَ انْتَجَبَهُ قَبْلَ أَنْ أَرْسَلَهُ، وَسَمّاهُ قَبْلَ أنِ اجْتَبَلَهُ، وَاصْطِفاهُ قَبْلَ أنِ ابْتَعَثَهُ)،

هذه أيضا مثار تساؤل، هنا الزهراء عليها السلام تتكلم عن عوالم فوق عالم المادة، إنّ تلمُّس هذه الآفاق هو نهاية عبودية الله و حقيقة العبادة، إنّ حقيقة الإنقياد لله هو العيش في عالم الغيب أمّا أن يصلي الإنسان و يصوم دون معرفة بهذه العوالم فهو لا يعدو أن يكون أعمى!، نعم! قد يتفضَّل عليه الله بالمغفرة و اللطف لكنه في الو اقع أعمى.

هنا نريد أن نؤكد على المعاني التي تشير إليها الزهراء عليها السلام و ما تشير إليه من عوالم قبل عالم الشهادة، و تقول أن النبي صلى الله عليه وآله هو مصطفى قبل خروج الخلائق إلى عالم الشهادة: (إِذِ الْخَلائِقُ بالغَيْبِ مَكْنُونَةٌ، وَبِسِتْرِ الأَهاويل مَصُونَةٌ، وَبِنِهايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ).

الزهراء عليها السلام تسيدت النساء و العالمين بعلمها و معرفتها بعوالم الوجود.

إطلالة على العالم المعاصر

نحن في هذا العصر نعيش حالة من التفاوت عن العصور الأخرى، خصوصاً في السبعين سنة الأخيرة فقد تميز هذا العصر بالتداخل الثقافي و الفكري فقد أصبحت الإنسانية تتحرك حركة أُمَمِيَّة في كثير من الإتجاهات و الأمور و المناحي، ما عادت هناك أمة تعيش مستقِلّة، بل إنّ كل الأُمَم تعيش منظومة مشتركة في كثير من المستويات الإقتصادية والإجتماعية وخصوصاً الثقافية، فلا نستطيع أن نبقى على نفس المنهج التربوي القديم.

من هنا فإنّ البناء الحضاري في الأُمَم اليوم يتمثَّل في مجموعةٍ من الأمور منها النهضة الإنسانية العامة، و منها أيضاً شخصية المرأة التي نقدِّمها للأُمَّة. عندما تتصدى بعض الأُمَم الغالبة لتقديم نموذج للمرأة مقابل النموذج الموروث عندنا، إنّ هذا النموذج -المقابل تماماً للنموذج السائد عندنا- يُربك و اقعنا الإجتماعي و النفسي لشخص المرأة و هذا ما يلمسه أي مفكر يتناول شأن المرأة ويتابع ما يُطرَح في الساحة اليوم.

كيف يجب أن تكون المرأة اليوم؟

هناك من المفكِّرين والمُفكِّرات من يبحث و اقعاً عن الشخصية النموذجية للمرأة وكيف يجب أن تكون المرأة؟

أقول هذا الكلام كله مثَّلته الزهراء عليها السلام، نحن نطالب أن تُقدَّم الزهراء عليها السلام في كل الآفاق، كشخصية متكاملة نموذجية للمرأة، بهذا النموذج فقط نتخلَّص من كل أنحاء الإرباك، يجب أن ندرِك أنَّ الزهراء عليها السلام عاشت هذا الأفق المعرفي الغيبي، إلا أنها لم تكن منقطعة عن الو اقع الإنساني.

تميزت الزهراء عليها السلام بالإضافة إلى الأفق الغيبي و الإنساني الإجتماعي، تميّزت بالحياء والعفة، إنها المرأة التي تحفظ بيتها. هذه الشخصية النموذجية للمرأة المتجسِّدة في الزهراء عليها السلام.

و يجب أن نُبرز أطروحة الزهراء عليها السلام بطرُق مختلفة ومؤثرة كي نتقدم على كل الأطروحات و الدعاوي الأخرى والنماذج المطروحة في الساحة.

إنّ مسلك الزهراء عليها السلام كان هو حسن التبعل، هذا المسلك الذي يعارض انطلاق المرأة في المجتمع بلا ضابط ودخولها للأسواق، هذا المسلك لا يتعارض أبداً مع تصدِّي المرأة للشأن الإجتماعي كما فعلت الزهراء عليها السلام عندما دافعت عن الدين، للإنسان المظلوم الأول و هو علي عليه السلام، لم تتوان الزهراء عليها السلام عن الدفاع و العطاء في سبيله، لقد تحملت أعباء الرسالة عن إدراك ووعي بهدف الرسالة و عن وعي بالمشروع الإلهي للنبي الخاتم صلى الله عليه وآله.

سوف نسمع في يوم المرأة العالمي كثيراً من التيارات تدعو المرأة إلى مناحي كثيرة إجتماعية وغيرها، و لكن النساء اللاتي يُعشعِش في أعماقهِن هذه الشخصية على ما هي عليه في الو اقع

عندما تكون شخصية الزهراء عليها السلام هي المؤثرة في فتياتنا بصدق و حقيقة، عندما نزرع في فتياتنا حب الزهراء عليها السلام و آفاق جمال هذه المرأة الإستثنائية فإننا نكون قد فتحنا لهنَّ السبيل إلى المعرفة الحقيقية والبصيرة الفكرية وأعطيناهُنّ مفاتيح و آليات الحفاظ على التوازن الإجتماعي و حفظ الأدوار الإجتماعية.

موقعية الزهراء عليها السلام في التاريخ البشري

إن للزهراء عليها السلام و الأخذ بيد الإنسانية في الدنيا و الآخرة تاريخ حافِل بالأسرار والعطاءات والتضحيات، إن الزهراء عليها السلام تلتقط شيعتها يوم القيامة وهذا صورة لما نعيشه في و اقعنا اليوم، أنصار الزهراء عليها السلام ليس هم من يبكُون عليها و على مظلومِيّتها ولَيس هم مَن يعرفون اسمها ونسبها؛ بل هم مَن

يعرفون الزهراء عليها السلام ويحبُّونها ويتَّبِعونها ويجعلونها نبراساً في حياتِهم.

نحن اليوم نعيش هذا النموذج الباهر والنِّبراس النيّر الذي يفترض أن يكون هبة إلهية ومِنحة ربانية وُضعت بين أيدينا ندعو جيمع المؤمنين نساءً و رجالاً إلى معرفتها و الإهتداء بها، مع الأسف الشديد لقد أهملنا هذه الشخصية في و اقعنا الإجتماعي، أين و اقع الزهراء عليها السلام في حياتنا اليوم؟ بل قُمنا بتضييع هذه الشخصية العظيمة والنعمة الإلهية، نسأل الله أن يوفِّقنا لمعرفتها سلام الله عليها.

[١٠]

قراءة في شخصية الزهراء و الوضع الراهن

الْحَمْدُ للهِ عَلى ما أنْعَمَ، وَ لَهُ الشُّكْرُ على ما أَلْهَمَ، وَ الثَّناءُ بِما قَدَّمَ، مِنْ عُمومِ نِعَمٍ ابْتَدَأها، وَ سُبُوغ آلاءٍ أسْداها، وَ تَمامِ مِنَنٍ والاها، جَمَّ عَنِ الإحْصاءِ عدَدُها، وَ نأى عَنِ الْجَزاءِ أَمَدُها، وتَفاوَتَ عَنِ الإدْراكِ أَبَدُها، وَنَدَبَهُمْ لاِسْتِزادَتِها بالشُّكْرِ لاِتِّصالِها، وَ اسْتَحْمَدَ إلى الْخَلايِقِ بِإجْزالِها، وَ ثَنّى بِالنَّدْبِ إلى أمْثالِها.

وَ أَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، كَلِمَةٌ جَعَلَ الإخْلاصَ تَأْويلَها، وَ ضَمَّنَ الْقُلُوبَ مَوْصُولَها، وَ أَنارَ في الْفِكَرِ

مَعْقُولَها. الْمُمْتَنِعُ مِنَ الإبْصارِ رُؤْيتُهُ، وَمِنَ الأَلْسُنِ صِفَتُهُ، وَ مِنَ الأَوْهامِ كَيْفِيَّتُهُ. اِبْتَدَعَ الأَشْياءَ لا مِنْ شَيْءٍ كانَ قَبْلَها، وَ أَنْشَأَها بِلا احْتِذاءِ أَمْثِلَةٍ امْتَثَلَها، كَوَّنَها بِقُدْرَتِهِ، وَ ذَرَأَها بِمَشِيَّتِهِ، مِنْ غَيْرِ حاجَةٍ مِنْهُ إلى تَكْوينِها، وَ لا فائِدَةٍ لَهُ في تَصْويرِها إلاّ تَثْبيتاً لِحِكْمَتِهِ، وَ تَنْبيهاً عَلى طاعَتِهِ، وَ إظْهاراً لِقُدْرَتِهِ، وَ تَعَبُّداً لِبَرِيَّتِهِ، و إعزازاً لِدَعْوَتِهِ، ثُمَّ جَعَلَ الثَّوابَ على طاعَتِهِ، وَ وَضَعَ العِقابَ عَلى مَعْصِيتَهِ، ذِيادَةً لِعِبادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ، وَ حِياشَةً مِنْهُ إلى جَنَّتِهِ.

وَ أَشْهَدُ أنّ أبي مُحَمَّداً صلّى الله عليه وآله عبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اخْتارَهُ وَ انْتَجَبَاهُ قَبْلَ أَنْ أَرْسَلَهُ، وَ سَمّاهُ قَبْلَ أنِ اجْتَبَاه، وَ اصْطِفاهُ قَبْلَ أنِ ابْتَعَثَهُ، إذِ الْخَلائِقُ بالغَيْبِ مَكْنُونَةٌ، وَ بِسِتْرِ الأَهاويل مَصُونَةٌ، وَ بِنِهايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ، عِلْماً مِنَ اللهِ تَعالى

بِمآيِلِ الأُمُور، وَ إحاطَةً بِحَوادِثِ الدُّهُورِ، وَ مَعْرِفَةً بِمَواقِعِ الْمَقْدُورِ. ابْتَعَثَهُ اللهُ تعالى إتْماماً لأمْرِهِ، وَ عَزيمَةً على إمْضاءِ حُكْمِهِ، وَإنْفاذاً لِمَقادِيرِ حَتْمِهِ.

فَرَأى الأُمَمَ فِرَقاً في أدْيانِها، عُكَّفاً على نيرانِها، عابِدَةً لأَوْثانِها، مُنْكِرَةً لله مَعَ عِرْفانِها. فَأَنارَاللهُ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه و آله ظُلَمَها، و كَشَفَ عَنِ القُلُوبِ بُهَمَها، وَ جَلّى عَنِ الأَبْصارِ غُمَمَها، وَ قَامَ في النّاسِ بِالهِدايَةِ، و أنقَذَهُمْ مِنَ الغَوايَةِ، وَ بَصَّرَهُمْ مِنَ العَمايَةِ، و هَداهُمْ إلى الدّينِ القَويمِ، وَ دَعاهُمْ إلى الطَّريقِ المُستَقيمِ.

ثُمَّ قَبَضَهُ اللهُ إليْهِ قَبْضَ رَأْفَةٍ وَاختِيارٍ، و رَغْبَةٍ وَ إيثارٍ بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه و آله عَنْ تَعَبِ هذِهِ الدّارِ في راحةٍ، قَدْ

حُفَّ بالمَلائِكَةِ الأبْرارِ، وَ رِضْوانِ الرَّبِّ الغَفارِ، و مُجاوَرَةِ المَلِكِ الجَبّارِ. صلى الله على أبي نبيِّهِ و أَمينِهِ عَلى الوَحْيِ، وَ صَفِيِّهِ وَ خِيَرَتِهِ مِنَ الخَلْقِ وَرَضِيِّهِ، و السَّلامُ عَلَيْهِ وَ رَحْمَةُ اللهِ وَ بَرَكاتُهُ.

قال عز من قائل في محكم كتابه الكريم: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ [١]﴾.

نهنئكم شيعة علي و فاطمة بهذا اليوم الأغَرّ الذي نجتمع فيه حول هذه الشخصية والنبراس والنور و هو فاطمة عليها السلام، و الحديث حول الزهراء عليها السلام متشعب ذو غور و آفاق، ولعله لا يسعنا الحديث عن شخص الزهراء عليها السلام التي غارت في أعماق

---

[١] التوبة/ ١٢٨.

الغيب حتى أصبحت معرفتها دونه خرط القتاد؛ إذ أصبحت من أدرك معرفتها فقد أدرك ليلة القدر، و أين منّا إدراك حقيقة هذه الليلة و معرفة أسرارها و مكنونها؟!، إذا بلغ بنا الشوق أن نعرف حقيقة ليلة القدر هذا يعني أننا اقتربنا إلى أن نعرف حقيقة الزهراء عليها السلام، و ذلك لما لها من مقامات و أنوار و درجات أعاننا الله و إياكم على تلمس بعض آفاق هذه الشخصية النورانية. و لكن إن لم يسعنا الحال أن نتحدث عن ذات الزهراء عليها السلام فلنتحدث عن بعض أنوارها و آفاقها العملية سنتحدث عن مسلك الزهراء و منهجها الذي قدمته للإنسانية تبعاً لرسول الله صلى الله عليه وآله التي هي بضعة منه، أي من أنواره و هدايته و رشاده، و لعل أوضح ما نحتاجه اليوم في و اقعنا الإجتماعي و

الأُسَري بالخصوص، هو الإهتداء بهذه الشخصية و آفاقها، كم أننا نحتاج اليوم إلى أن نبرزها على مستوى الفكر و على مستوى الإنقياد و الإتباع و التشيع!.

تعريف الزهراء عليها السلام للدور الأساسي للمرأة

لقد قدمت الزهراء هذا النموذج الحي للمرأة التي تُشكِّل وتساهم في بناء الأسرة، لعله سمعنا ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام عندما حكى هذه الحكاية أننا كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله مع جمع من الأصحاب فسألنا رسول الله صلى الله عليه وآله ما هو خير للمرأة؟ فلم نعرف ما هو الجواب حتى رجع علي عليه السلام إلى المنزل فسأل الزهراء عليها السلام فقالت له العارفة المدركة التي تنطلق من خصوصية العصمة الأنثوية قالت له: أنه خير للنساء أن لا يراهن الرجال

ولا يرين الرجال، فرجع أمير المؤمنين عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بهذه المعلومة و الجواب القويم فقال الرسول صلى الله عليه وآله: نعم إنها بضعةٌ مني، بضعة تهتدي إلى هذا المعنى، هذا المعنى أخواني قد يكون مجمل و مبهم و لكنه في الحقيقة يختزل مهمة المرأة، و هنا أريد أن أوجِّه الخطاب إلى أخواتي المؤمنات، هذا الخطاب يختزل مهمة المرأة التي تطلِق عليها بعض الروايات (حُسن التبعُّل).

إننا اليوم نعيش خطر داهم حول بناء التركيبة الأسرية و الأمن و الإطمئنان الأُسَري. لعله لا يخفى عليكم إخواني وأخواتي ما تعيشه الأمم اليوم في كثير من نواحيها من تمزّق أُسري حتى أنها تبلغ في بعض المراحل حالة من الذَّوَبان الأُسَري و التفكُّك الأُسَري، و هذا معنى خطير يصيب التركيبة البشرية

ككل، لأن الإنسان إنما ينضج و ينمو مزاجه و فكره داخل الأسرة، في هذا المحضَن الطبيعي والأساسي الذي لا يمكن للإنسان أن ينمو أو أن تقوم له قائمة إلا من خلال توفُّر هذا الأساس.

المرأة تُشكِّل الأساس في هذه التركيبة والمناخ العام، و نحن هنا لا نريد أن نمتدِح أحداً و إنما نريد أن نوصِّف و نرسِم الأمور بمنطقية رياضية بحتة، الزهراء عليها السلام عندما ترسم هذا النموذج الحي، الذي هو منجى للإنسانية؛ إنها تريد أن توضِّح السبيل القويم في بناء الإنسان ونعيمه وفي بناء السعادة الإنسانية العميقة و التكامل الإنساني الصحيح، و هذا لا يتم إلا بتوفر الإستقامة في شخصية المرأة و في البناء الأنثوي في داخل

الأسرة. إن المرأة تشكِّل في ضمن الأسرة المائع الذي يذيب كل العناصر الأخرى التي تتشكل منها الأسرة؛ رب البيت و أولاد البيت و بناته من أخوات و أخوة، هذه العناصر المتعددة من الطبيعي أن يكون هناك شيء من عدم التو افق و التمازج بينها، أن لا يكون لرب الأسرة تمام التو افق مع أبنائه أو الأبناء مع بعضهم البعض، هذا أمر طبيعي ومتوقَّع، هنا يأتي دور الأم وقدرة المرأة و هذه قدرة وهبها الله للمرأة، المرأة بما هي كائن رقيق عطوف يكتنف في أعماقه مساحة واسعة من اللطف والرقة والقدرة على استيعاب الأطراف الأخرى.

يجب أن لا تكون المرأة عنصراً في عرض العناصر الأخرى، المرأة ليست شريكة الرجل في تدبير المنزل و إنما هي محضن

الأسرة، المرأة ليست معانداً و نداً للرجل، متى ما شعرت المرأة أنها ذات بسط و سطوة و يد و أن تكون ذات كلمة في مقابل كلمة الرجل، ثقوا أنَّ هذا المنزل سوف يعيش حالة من القلق والإضطراب، هذا لا يعني حالة من الإنسياق و الذوبان في خصوصية المرأة، طبيعة الإنسان أن تكون له خصوصية واستقلال في الشخصية سواء كان رجل أو امرأة، و مطلوب من المرأة أن تتبع الحق، و لكن المنهج العام في المسار العام في المذاق العام يجب أن تعي المرأة مهمتها بوعي واضح و جليّ مستنّة بالزهراء عليها السلام، مَن مِنّا يعرف شخصية للزهراء عليها السلام في بيتها غير شخصية المرأة المطيعة اللينة السهلة المنقادة الرقيقة، هذه

الشخصية التي تتوفر في الزهراء عليها السلام و توفر للأسرة الجو الصحيح والقويم.

عناصر أربكت التركيبة الأسرية في العصر الراهن

١/ العنصر الثقافي

مع الأسف! تعيش الإنسانية اليوم -بشكل عام- ومجتمعاتنا -بشكل حذر و خاص- هجمة على تركيبة الأسرة و بناء المنزل و ذلك من خلال ثقافة (إستقلالية شخصية المرأة) و (أنها مساوية للرجل تطالب بحقوقها)، و هذه المعاني إيجابية في بعض آفاقها، إلا أنها كثيراً ما تُطوّع و تُستثمر إستثماراً أعوجاً يُربك تركيبة الأسرة، إنَّ ما يهجم اليوم على الأسرة من أسباب الإرباك هو في كثير من نماذجه قد يكون جراثيم خطرة. على

سبيل المثال ما يتم من علاقات من خلال وسائل التواصل الإجتماعي المتوفرة اليوم، هذه ليست بسيطة فنتساهل فيها بل قد تُحدث فجوات و إرباكات في الأسرة.

ولكن ليس العيب في هذه الأجهزة، بل العيب هو في البناء الداخلي للأسرة، إذا أصبحت التركيبة الداخلية هشّة و أصبح دور المرأة مُربك ويُقدَّم النموذج غير الصحيح على ما هو صحيح، فمن الطبيعي أن تأخذ كل جرثومة تصاب بها الأسرة مداها طالما أن الجسم الأسري غير مُحكم.

هذا العنصر الثقافي الذي يدعو إلى إستقلالية المرأة قد أربك المرأة و أربك الجو الإجتماعي بشكل عام بل قد أدى إلى

إستئساد المرأة على الرجل و هذا خلاف حاجة الأسرة و خلاف البناء التركيبي للمرأة.

٢/ العنصر الإقتصادي

هناك عنصر آخر أيضاً أربك على المرأة هدؤها و استواء سلوكها و هو أن الحركة الإقتصادية اليوم ما عادت تعتمد على رجولة الرجل و خشونته، فأصبحت المرأة تساهِم في الكسب و الخروج إلى خارج المنزل لتدبير أسباب المعيشة، و هذا في بعض مناحيه ضرورة و لابد منه بل هو إيجابي في بعض الأحيان، إلا أنه يربك البناء الأسري في أغلب الأحيان، وذلك لأن شعور المرأة بالإستقلالية و المكنة وأنها غير خاضعة لخدمات الرجل يورث

حالة من الثنائية و الإستقلال و الخروج عن العهدة و الطاعة و لعل هناك مؤثرات أخرى تربك البناء الأسري.

هذا أمر خطير جداً يصيب الأسرة بحالة إرباك و ألم و نار تأكل أعماق الإنسان، وهي أشدّ إيلاماً من كثير من المؤثرات الخارجية المزعِجة.

هنا تشكل الزهراء عليها السلام النبراس التي جاء بها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لإنارة حياتنا و لنهتدي بها، إذا كانت الأُمم الأخرى تمتلك مفاهيماً جميلة فإننا نمتلك مفاهيماً دقيقة و تعالج شأن الإنسان معالجة و اقعية، ونمتلك نماذج حيَّة تُجسِّد هذه المفاهيم، نحن لا نَضيع في عالم المفاهيم المجردة بل نمتلك نماذج حية قُدِّمت لنا وهي هبات ربّانية عاشت في و اقع السلوك

الإنساني، الزهراء عليها السلام أوضح مثال لهذا النموذج الحي الجميل الرائع البهيّ.

الزهراء نموذج محكم عند انتشار المتشابهات

الجهة الأخرى التي يمكن أن نستثمرها من هذه الشخصية المتميزة هي الإبانة في وقت الإبهام، فكما أن كلام المتكلم الحكيم عندما يغلُب عليه جهة الإجمال والإبهام والتشابُه، مثلا: عندما تكون أنت في منزلك و أنا في حديثي مع عامة الناس في المسجد -مثلاً- قد لا ألحظ الواقع كما هو بكل تفاصيله بشكل واضح وجلي فأراعي حال الحضور في الكلام، بل أن كل متحدِّث يراعي مقتضى الحال و هذا من بلاغة الكلام، أنت عندما تتكلم مع شخص مُتعَب فإنك تراعي وضعه، وعندما

تتكلم مع شخص سعيد فإنك أيضاً تراعي وضعه و هكذا، بمعنى أن يكون كلامك حق هذا أولاً، ويتلبس بما يجعله ذا مقبولية عند المستمِع ثانياً، هذا ما يتعبه المتكلم غالباً. لكن في بعض الأحيان يحتاج الإنسان أن يبيّن الحق كما هو عليه، الحال في السلوك كذلك أنا عندما أسلك مسلكاً في أي مجتمع أو في أسرتي فإنني لا أختار الموقف الواضح الحاد الصارم و إنما أراعي وضعية الآخرين، أتنازل عن بعض حقوقي و أترك لهم مساحة، هذا في المنهج العام و كذلك في المسألة الأعم و هي تاريخ الأئمة و معالجتهم للشأن الإنساني والإجتماعي العام وهو مسلك الرسول صلى الله عليه وآله في أنه كان يُسايس الناس ويعالج شأن الناس بحالة من المرونة، لكن هذا المنهج العقلائي الصائب يؤدي في كثير من

الأحيان إلى إبهام في المفاهيم و إرباك، مما يحوج الإنسان إلى اتخاذ المنهج المحكم الواضح الجلي الذي لا يراعي في المرتبة الأولى مقتضى الحال بمقدار ما يلاحظ في المرتبة الأولى مآل الأمور ، و لعلنا أشرنا في ما سبق إلى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام في معالجته للشأن السياسي في ظرفه لم يكن في مقام مرحلته المحدودة و إلا لأخذ بأسباب النجاح و نجح لكنه عليه السلام كان في مقام وضع المعايير و الخطة العامة البعيدة المدى، التي لا نزال إلى اليوم نستثمرها و نعيش نتائجها، و لقد كررنا هذا المعنى في سيرة الحسن عليه السلام، كيف تحرّك الإمام الحسن عليه السلام بحالة من الملاينة و القبول و كيف صنع الإمام الصادق عليه السلام من الإنسياق و اللين و لكن عندما تضِيع القِيَم و المعايير و نحتاج أن نفهم معيار حركة

الأئمة بوضوح يأتي الإمام الحسين عليه السلام ليبيّن هذا المعيار الواضح الحاد الصارم بشكل لا لَبْس فيه، وعادة الحكماء يُرجِعون المتشابِهات إلى المُحكَمات، نريد أن نطبّق هذا المعنى في موقف الزهراء عليها السلام، عندما رفعت راية الولاية وعندما دخلت الواقع الإجتماعي لتبيّن ما حصل من انحراف، وتصلِح الإعوجاج الذي حصل في زمنها، هي لم تكن تريد المعالجة المحدودة بذلك الزمان، بل هي لم تكن تظُن ولا حتى تحتمِل أن يحدُث تصحيح قريب أو أنها ستقدِر على نزع الباطل من أهله و إعطاء الحق لأهله، بمقدار ما كانت تريد أن تبيّن راية الحق وقد اجتهدَت بكلها في سبيل ذلك، و هذا يجب أن يضاف في شؤون المرأة و هو أن المرأة و إن كان واقعها أنها ريحانة، وأنها غاية في

اللطف والرقة و لكن متى ما احتاج الو اقع ومتى ما احتاجت بيضة الإسلام والخدمة الإنسانية إلى أن تتصدّى كما هو حال الزهراء عليها السلام مع ما سيجرُّه عليها هذا التصدي من آلام وصعوبات.

هذه العارفة التي تتكلم عن آفاق السماء و عن ما قبل هذا العالم إذ الناس في غياهب الغيب، هي تعيش تلك العوالم و لكنها تتنزل إلى و اقعنا الأرضي لتعالج شأننا خوفاً علينا و لطفاً بنا ورِقّة بنا وهذا معنى أنها تختار شيعتها وَتُنقِذهم، و أنها سيكون لها في المحشر أثراً و و اقعاً تهفو إليه قلوب الصادقين و تتطلَّع إليه القلوب العارفة الوالِهة، هي أملنا و هذا ليس من

ماضي التاريخ بل هو حال و هو في مآل الأمور و هذا ما سوف ندرك حقيقته يوم المحشر.

نسأل الله أن يرزقنا الإهتداء بها و أن يرزقنا شفاعتها يوم المحشر و الحمد لله ربِّ العالمين.

[١١]

آفاق الزهراء عليها السلام في الفِكر البشري

نبارك لكم هذه النّبْعَة الإلهية وهذه الهداية البشرية والنور السرمدي، نبارك لكل عُشّاق الحقيقة و طلاب الفضيلة وعَبدَة الحق، نبارك للإنسانية جمعاء مولد الزهراء عليها السلام التي كل رجائنا وكل عملنا وكل أملنا في نورها و شفاعتها وهَدْيها.

لعل الحديث عن الزهراء عليها السلام ينطوي على آفاق و أعماق و دلالات و أنوار و هدايات بالكاد يستطيع الخطيب المُفَوّه الواعي العارف أن يتلمَّس بعض هذه الحقائق، و لكن حباً فيها و رغبة في

استثمار ما يمكن استثماره، أقف بين أيديكم أحِبَّتي إخواني و شيعة علي و الزهراء لنجعل من جمعنا هذا فعلاً واحتفاءً و احتفالاً و تشيُّعاً و عبادة و طاعة من خلال تذوق هذا الإبداع الإلهي و العطاء الرباني.

هناك آفاق للزهراء عليها السلام و أريد أن أقف، بل نخضع و اقفين بين بعض هذه الآفاق.

١/ أُفُق الزهراء عليها السلام في عالم الغيب

البعد الأول الذي يستحق منا وقفة تفصيلية -لكن لن يسع المجال إلا إلى الإشارة إلى بعض ماينطوي عليه- هو حقيقة الزهراء سلام الله عليها و ماهيتها و كُنهها عليها أفضل الصلاة والسلام، ماذا نستطيع أن نعرف عنها؟

كل إنسان يدرك ويحيط بما أحسه و تذوّقه، أنا لا أستطيع أن أصف لك معنى لم تحط نفسك به، فهذه مقدمة نحتاج أن نعترف بها نقرّ فيها وهي أن معرفتنا و إحاطتنا للزهراء عليها السلام هي في حدود ذواتنا لا في حدود ذاتها، و من هنا ورد عنهم عليهم أفضل الصلاة و السلام أنّ (من عرف الزهراء عليها السلام فقد أدرك ليلة القدر)، إدراك ليلة القدر لا يعني أن تعيش و تصادف زماناً يتحقق فيه القدر، إنما يعني أن تحيط و تستوعب فعلاً ماذا يحصل في ليلة القدر، و هذا الإقتران بين الزهراء عليها السلام و ليلة القدر التي هي من أغمض الأمور في هذا الكون و في هذا الوجود، كذلك هي الزهراء عليها السلام في غاية الخفاء و في غاية الإبهام لما لشخصها الكريم من توغل في الغيب و الخفاء، لانطيل على

أنفسنا في هذا الجانب، لنبتدئ بكلامها سلام الله عليها عندما تصف النبي ﷺ؛ لاحظوا عن ماذا هي تتكلم؟ هي في أي عالم تعيش؟! وعن أي أفق تتحدث؟ تقول في خطبتها: (و أشهد أنّ أبي محمد رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم عبده و رسوله اختاره و انتجبه قبل أن يرسله)؛ هناك مرحلة سابقة يتحقق فيها الإجتباء والإختيار ثم تأتي بعد هذه المرحلة مرحلة الإرسال، ثم تقول: (و سماه قبل أن اجتباه)؛ ماهي التسمية؟ نحن في عالمنا العرفي التواضعي نضع الألفاظ للدلالة على معاني معيَّنة نسمِّيها تسمية، في ذلك العالم ليست التسمية من هذا القبيل فالرسول ﷺ في عالم السماء أحمد و في الأرض محمد، هذه الألفاظ تكشف عن حقائق لكننا سنتجاوز هذه النقطة أيضاً،

(و اصطفاه قبل أن ابتعثه إذ الخلائق بالغيب مكنونة و بسر الأهاويل مصونة و بنهاية العدم مقرونة) هناك جريانات ربانية في هذا الوجود تتحدث عنها الزهراء عليها السلام و تُوَصّف بعض تلك الحقائق، هذه الموجودة التي تعيش الأمر الرباني وتعيش كل العوالم، لاحظوا أخواني نشير إلى نقاط سريعة في حياة الزهراء عليها السلام ترتبط بأصل تكوينها، إنها من ثمر الجنة وفي أنها جنين يؤنِس أمه ويخاطبها و في أنها إنسية روحانية بشرية وفي أنها سوف تكون في المحشر شفيعة لأمة أبيها، لاحظوا كيف أنها متميزة عليها السلام من النشر إلى الختم وكيف أن العمق الغيبي واضح في سيرتها ومسيرتها، إنّ لها جذورا في عرض الغيب و في أعماق السماء! نحن كلنا نؤمن -والحمد لله- بكثير من الإصطلاحات و

لكننا في أمَسّ الحاجة أن نقف وقفة جادّة وأن نصدُق مع أنفسنا ونبحَث عن ماذا تعنيه هذه الأمور، نحن نبحث عن سماوات و جنة، نحن عندما نتكلم عن سماوات وجنة، سواء كانت هذه الجنة موجودة أو سوف توجد فإنّ هذه الجنة ثمرتها الزهراء عليها السلام، هناك جنة و نار، و هناك جنة و في الجنة ثمار و في الثمار ما يؤكل فأكلَه الرسول صلى الله عليه وآله و تشكلَّت سلام الله عليها.

نذهب أكثر في عمق الغيب لنلاحظ أن الزهراء عليها السلام تتحدث عن آفاق السماء بل حتى ماقبل ذلك تتحدث عن عوالم الملائكة و العرش و الكرسي و القلم، نحن كلنا نؤمن أن ما من صغيرة و كبيرة (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا

فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا)[١]، ماهو الكتاب؟ ماذا كُتب فيه؟ إننا نحتاج أن ندرك كل هذه الثقافة، لندرك كم نحن صغار أمام هذه الموجودة التي تعيش تفصيلاً ووعياً واضحاً في هذه العوالم وهذا ليس إلا مفردة من مفردات الزهراء عليها السلام.

لقد أوقع أفُق الزهراء عليها السلام في عالم الغيب الكثير في مخمصة: هل أنها كائن غيبي أم كائن إنسي؟ هل هي من عالم الوجود أم من عالم الآخرة؟ إنّ هذا الأفق الغيبي يضفي عليها في كل آفاقها حالة من الغيب والإبهام، هذا الغيب مُتّحد ومُنسجِم مع واقع الشهادة والأرض وليس أمراً منفصلاً عنه.

---

[١] الحديد/٢٢.

وقع كلام في شخص الزهراء عليها السلام، خصوصاً في هذه الفترة الزمنية المعاصرة، في أنها هل هي كائن خارق للعادة أم أنها موجود عادي مصنّف مؤلف عالم؟! و هذا الكلام يسري إلى جميع الأئمة عليهم السلام والذي أوجد نوع من الخصومة بين العلماء منذ عصر الأئمة إلى الآن في فهم حقائقهم عليهم السلام.

الحل في هذا الموضوع أننا يجب أن لا نُحدِث فصلاً و إنفكاكاً لهم بين عالم الغيب وعالم الو اقع، و أنهم عليهم السلام يأكلون و يشربون و ينامون كما نأكل نشرب و ننام و لكنهم تميزوا في أنهم قد سلكوا آفاق المعرفة و آفاق السماء كما يقول علي عليه السلام: (أنَا

بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الْأَرْضِ)[1] الخلاصة التي نريد أن نصل إليها أن الزهراء عليها السلام في الوقت الذي غارَت في عالم الغيب و تعاملت مع السماوات والملائكة وهذه الآفاق العميقة، هي موجود أرضي بل أنه لايمكن لموجود أياً كان أن يبلُغ هذه الآفاق إلا أن يسلك الذي سلكته الزهراء عليها السلام و أن ينطلق كما انطلقت الزهراء عليها السلام من و اقع الأرض. حتى الملائكة و العقول النيّرة، حتى الموجودات السماوية لا تستطيع أن تبلغ هذا العمق في أفق الغيب كما بلغته الزهراء عليها السلام.

---

[1] نهج البلاغة: خطبة ١٨٩.

٢/ أُفُق الزهراء عليها السلام في عالم الأرض

أشرنا إلى الجهة الغيبية في حياة الزهراء عليها السلام. الآن نتحدَّث عن الجهة الواقعية الأرضية التي نحتاج إليها اليوم مسيس الحاجة وهي شأن المرأة اليوم وموقعيّتها في الأسرة، لعله لايخفى عليكم كم تعيش الإنسانية اليوم من إرباك في هذه الجهة، لاحظوا و بشكل سريع ما يعيشه الغرب اليوم من تفتُّق أُسَري و تفكُّك روحي وآلام عميقة تغور إلى أعماق قلوبهم، راجعوا الأرقام التي تُطرَح في الساحة الواقعية للولادات والحياة خارج دائرة الأسرة، تكاد الأسرة اليوم في عالم الغرب أن تصبح هشة، السيئ في هذه الحالة أنها في إمتداد إلى عالمنا اليوم، قد لا نعيش حالة من التفكك الأسري و لكن نعيش بلا شك إرباك في

بنائنا الأسري لوقوع خلل في مورد من موارد الأسرة و هو البناء الأنثوي القويم.

و ذلك لمؤثرات كثيرة منها العنصر الثقافي، حيث سادت فكرة أن (المرأة مساوية للرجل و يجب أن تكون شريكة) طبعاً هذه الألفاظ في ظاهرها جميلة و لطيفة و قد يُقصد منها معاني صحيحة و لكن المشكلة أنها أربكت الفهم الواضح لرسالة المرأة في الأسرة ولبناء شخصيتها في ذاتها.

لاحظو هذه الرواية، يقول علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه كنا عند الرسول ﷺ فسأل رسول الله أصحابه: أي شي خير للنساء؟ فلم يحيروا جواباً يقول علي عليه السلام فرجعت و قلت لفاطمة عليها السلام: أي شي خير للنساء؟ فقالت عليها السلام: أن لا يرين

الرجال و لا يراهن الرجال، شخصية الزهراء النموذجية تقدم أبدع ما يجب أن تبلغه البشرية في البناء الأسري في مقام التوازن الإنساني والتو افق بين طبيعة المرأة وكيانها،المرأة أشبه ما تكون بالجو الحاضن للأسرة، هي التي تحقق المناخ الطيب.

و هذا يتطلب أن لا يكون للمرأة (طعم ولون ورائحة) متميزة في عرْض (لون و طعم الرجل)، و إنما هي الكيان الذي يذيب خصائص الرجل ليوصل كمالاته إلى الجيل القادم من الأولاد، و هذا من خصوصيات هذا الموجود الرقيق الذي ينطوي على قدرة يفتقر إليها الرجل و هو قدرة العاطفة و اللطف و الرقة، هذه لا يتمكن منها الموجود الخشن المسمى بالرجل،

مهما أوتي الرجل من خصائص يبقى أنه مصنوع بهذه الكيفية و المرأة مصنوعة بكيفية أخرى.

عندما نفهم هذا المعادلة اللطيفة و الجميلة للتوفيق بين السلوك الصحيح للرجل والسلوك الصحيح للمرأة سوف نتمكن من بناء التركيبة الصحيحة القوية الناعمة القويمة للأسرة التي تفي بالرجل بكل خصائصه و إمكاناته و ما ينطوي عليه من قدرات و إمكانات؛ لأن المرأة عندما تكون له أرضاً فإنه يكون لها سماء، و عندما تضع المرأة المنهج الصحيح في السلوك الأسري سوف يكون للرجل التوازن الصحيح، عندما تكون المرأة سهلة طيّعة في حقٍّ و قوةٍ و متانة.

قد تكون لبعض التعابير دلالات سلبية كما تكون لها دلالات إيجابية، فعندما أقول أن المرأة يجب أن لا يكون لها (طعم و لون و رائحة) متميزة في عرض (لون و طعم الرجل) لا أقصد أنها ليست ذات قيَم و مبادئ و معايير و إنما أقصد أن لا تعيش جو الأسرة في حالة المماحكة و المواجهة مع تدبيرات الرجل، و إنما تعيش حالة التوازن و المعالجة و التوفيق.

من الطبيعي أن يكون الأعم الأغلب من أحوال الرجال هو التوتر بسبب طبيعة بنائه الذاتي و مسلكه الإجتماعي، فعندما يأتي إلى البيت يأتي و بمنسوب توتري مرتفع، هذا يحتاج من المرأة أن تليّن منه العريكة و تصفّي منه الأحاسيس غير المطلوبة، لكي يمضي في مهمته البشرية في ترتيب الأسرة.

كل ما أريد أن أقوله أننا اليوم في أمس الحاجة إلى الرجوع إلى هذا النبراس و المعيار و هو الزهراء عليها السلام. لاحظوا هذه الرواية التي أتيت بها تريد أن تقول أنّ الزهراء عليها السلام دون بقية الأصحاب، حتى علي بن أبي طالب عليه السلام يحتاج إلى هذا النحو من الإدراك الأنثوي اللطيف، من يهتدى إلى هذا المعنى؟ إنه رسول الله صلى الله عليه وآله أو بضعته عليها السلام، و من هنا الرواية تكمل أنه عندما ذهب علي عليه السلام و قال للرسول صلى الله عليه وآله عن أنه سأل فاطمة و بماذا أجابت قال الرسول صلى الله عليه وآله: (إنما فاطمة بضعة مني)، لاحظوا السياق كيف أن هذا النحو من المعرفة استعصت على سلمان و أبي ذر و كبار الصحابة، هذا يحتاج إلى ذات الإدراك الغيبي ليعرف كيف يسير في الأرض، و هذا يعني الإنسجام بين عالم الشهادة و عالم

الغيب. هذا الذي بين أيدينا اليوم الذي نحن في أمسّ الحاجة إلى الرجوع إليه و الإسهتداء بهديه و هو الزهراء عليها السلام عندما ترشد الصنف النسوي إلى هذه الخصوصية، خصوصية العفة و الترقي و الترفع عن مخالطة الرجال.

طبعاً هذا لا يعني أبداً أن نُربِك الحركة الإجتماعية و كما أؤكد أن لكل معنى آفاق يجب أن نلاحظ الجهة الصحيحة مثل إذا قلت أنه يجب على المرأة أن تعف و تترفع و تترقى لا يعني أنها لا تؤدي دورها الإجتماعي و لا تمارس نشاطها العام.

٣/ أُفُق الزهراء عليها السلام ومنهجها المُحكم

المحور الثالث : أحتاج بعض المقدمات لتوضيحه:

لاحظو إخواني أن أي متحدث حكيم عاقل في حديثه يتحدث في ضمن المنطق المألوف، فإنه في حديثه يوجد أنواع من الكلام، مثلاً هناك عموم و يقيده، هناك إطلاقات و يأتي بقيود لها، هناك كلام مُجمل، فنفهمه من بعض المُفصَّل، و هذا مايسمى في بعض العلوم بالجمْع العُرْفي: العُرف يفهم أن هذا الكلام متداخل، ولكي لا يحدث تصادم بين كلام المتكلم أو تناقض فإننا نحمل بعض كلامه على بعض، فيفسِّر بعضَه بعضاً، هذا مسلك عقلائي عام على مستوى الكلام والمخاطبات.

نفس هذه القواعد -أي قواعد الجمع العرفي- تجري على مستوى السلوك أيضاً، لاحظ نفسك في بيتك و تدبيرك لأمور منزلك، أنت لا تكون دائماً في مقام التوضيح و التبيين التام و

إنما أنت -في كثير من الأحيان- تراعي ملابسات الواقع و كما يقال: (الكلام الحكيم هو الذي يراعى فيه مقتضى الحال)، أنت عندما تخاطب ابنك و هو متعب يكون خطابك مختلفاً عن مخاطبته عندما يكون نشيط، عندما تخاطبه في مورد التشجيع يختلف ذلك عن خطابك له في مورد التهذيب، هذه الأمور تدخل فيها نوع من الإجمال والنسبيَّة، و هذه حالة طبيعية و سلوك عقلائي ساري بين الناس و لكن قد تحتاج في بعض الأحيان إلى تبيين بعض الأمور بشكل واضح و جلي، مثلاً أنت تريد أن تقول لابنك أنه يجب أن لايبقى إلى ساعة متأخرة من الليل مستيقظاً!، ستقول له -مثلاً-: لا تسهر، و لكن أنت لا تقصد أن يبادر إلى النوم في أول الليل، فتقول له هذا الكلام المجمل أن لا

تتأخر في النوم، هذا النحو من الإجمال تحتاج إلى توضيحه، فتزيد في التوضيح بتحديد الساعة مثلاً، فتقول الساعة العاشرة نم ... . هذا النحو من الكلام يسمى مُحكم و النوع الأول (لا تسهر) يسمى مُتشابه ونحن نسمع هذه المصطلاحات في القرآن الكريم. هناك آيات متشابهات و آيات محكمات كذلك في السلوك عندما ندرس سلوك الأئمة عليهم السلام فإنّ هناك أمور واضحة جلِيّة، و هناك أمور مُبهَمة. مثلاً التعامل مع الجائر هل ننساب معه أو نصطدم معه؟!، هذا محل إبهام، في بعض الأمور هناك من يدعو وبعنوان الإستنان بسنة أهل البيت عليهم السلام إلى المواجهة و الثورة و هناك من يدعو إلى الإستسلام والإنقياد وهذه حالة مطروحة، في ضمن هذا الإبهام و التشابه و المرونة

منهم عليهم السلام اقتضتها طبيعة السلوك العقلائي، ليس مطلوباً من الإمام في كل آن أن يواجه أو ينساق مع الظلَمة في كل المعادلات و إنما يُراعَى في اتخاذ المو اقف طبيعة الظرف و الملابسات و لكن في ضمن هذا السلوك العام هناك مو اقف مُحكَمة و بيِّنة، نرجع في فهم المو اقف المتشابهة إلى المُحكمات.

اختصاراً أستطيع القول أن أمير المؤمنين عليه السلام كبعد أن أُصيبت الحركة الإسلامية بالإبهام و التشابه في المعاني و القيَم و المعايير الأساسية كان علي عليه السلام يريد أن يضع الميزان و يقِيم الحقيقة على المدى البعيد و يرسم المنهج لا لظرف زماني مُعيَّن و إنما يريد أن يضع المنهج بغض النظر عن الملابسات الو اقعية الخارجية ورعاية مقتضى الحال، هذا ليس معناه أن أمير

المؤمنين عليه السلام لم يكن و اقعياً و إنما كان يهدف إلى إصلاح المعيار والمسار العام ويضع الميزان، قبل أن يُصلِح ذلك الو اقع الآني.

إذا اتضحت هذه المقدمة أقول:

الظروف التي عاشها الإمام الصادق عليه السلام تقتضي أن يكون هناك حالة الملاينة و المسايسة و الإبهام وهكذا كان بقية الأئمة عليهم السلام، هذا اللون من السلوك سلوك عقلائي نمارسه نحن في منازلنا و مجتمعنا، أنا لا أبحث عن إقامة الحق مئة بالمئة في الأسرة والمجتمع لأن هذا يربك الو اقع، فيجب أن أسايس وألاين وأعالج بفنون المعالجات، و لكن عندما تصبح الحالة في تهديد أصل المعيار و أصل القيم، هنا يحتاج الإنسان أن يأخذ موقفاً حاداً واضحاً و من هنا قد يبدو لمن يعيش نفس

هذه الملابسات أن هذه المواقف ليست مواقف موزونة لأنه يفترض أن تكون المواقف يراعى فيها الظروف الخارجية.

ختاماً الزهراء عليها السلام رفعت راية الولاية و أرادت أن تحدد الوالي و تنصّبه، لا أنها تعالج شأناً جزئياً، لا أنها تغالب و هي تعلم أنها لن تغلب، و إنما أرادت أن توصِل هذه الراية إلى شيعتها، و هذا معنى شفاعة الزهراء عليها السلام و أنها تلتقط شيعتها في المحشر، إلتقاط شيعتها لن يحدث في ذلك الزمان، و إنما نحن نُحدِثُه و نعيشه اليوم.

عندما نهتدي بهذا الهدي و نتبع هذه الراية التي رفعتها الزهراء عليها السلام بدمها وبضلعها وبآلامها وبمشاعرها وببكائها!. رفعتها لتضعها في يد علي عليه السلام ليأخذها ليهدينا إلى طريق الحق و

الفضيلة في كل الأصعدة السياسية و الإجتماعية و الفكرية و الأخلاقية و لولا علي عليه السلام لما اهتدينا و لولا منهجه لما تباركنا بهذا التشيع و لولا الزهراء عليها السلام لما ثبتت الولاية لعلي عليه السلام و لبقيت كثير من الأمور مبهَمة عندنا، ولأصبحنا حالنا حال هؤلاء الذين يعيشون في ضلال و لايدرون في أين وإلى أين، و هذا ضلال وظلمة و ألم كان يُبكي الزهراء عليها السلام، فما قدمته فضل كبير و مَنّ عظيم، يجب أن ندركه و إذا لم ندرك هذا المعنى فلسنا بشيعة و إذا لم نشعر بهذه الأحاسيس فلا معنى لتشيُّعِنا، فالتشيع ليس إصطفافاً إجتماعياً وُلِدتُ شيعياً و أسيرُ مع الشيعة، بل إنّ و اقع التشيع هو أن تدرك ماذا قدَّمَت لنا الزهراء عليها السلام، لكي تنطوي في أعماقك على أحساسيس تجاه هذا الموجود الذي كان

بإمكانه أن يعيش في أفق الغيب بأنعَمِ حال ولكنه أبى إلا أن ينزل إلى واقع الناس ويدخُل في حالة تدافع مع هؤلاء الأشرار والقتلة ليهدينا ويُرشِدنا إلى طريق الولاية والحق والفضيلة وهذا فضل لها عليها السلام علينا، وسوف نبقى تحت هذا الفضل مادمنا في طريق الهداية والتشيع. نرجو من الله عز وجل أن يمُنّ على الزهراء عليها السلام بالعطاء والخير والشكر الجزيل الذي يليق بمقامها، هذا المقام الذي من خلاله قدَّمَت لنا كل معالم الرشاد والتوفيق الذي مهما نتذوق من طعم الأنس والسعادة في دائرتنا الأسرية أو الفكرية أو الإجتماعية أو دائرتنا العامة كله فضل ومَنٌّ وعطاء من الزهراء عليها أفضل الصلاة والسلام. والحمدلله ربِّ العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

[١٢]

الزهراء عليها السلام وليلة القدر

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ(١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ(٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ(٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ(٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [١]

وردَ في الأثر الشريف: (مَنْ عَرَفَ فَاطِمَةَ حَقَّ مَعْرِفَتِهَا فَقَدْ أَدْرَكَ لَيْلَةَ اَلْقَدْرِ)[٢]

---

[١] القدر/١-٥.

[٢] تفسير فرات الكوفي، ج١: ٥٨١.

ماذا تعني ليلة القدر؟

إدراكُ ليلةالقدر هي مُنية الطالبين و شرف المؤمنين و المحبِّين ومصدر الأمن والسَّلام، تهفو إليها النفوس، و تُدركها القلوب النَّقية الصافية. ليلة القدرليست ظرفاً زمانياً فحسب؛ هي (سلامٌ حتى مطلع الفجر)، هي أمن و أمان يبلُغها من عرفها و من أدركها و سمعها، و ذلكَ يكون بمعرفةِ الزهراء عليها السلام.

من هيَ فاطمة الزهراء عليها السلام ؟

هي بذرة الجنة في أصلِ تكوينها، هي طعم الجنَّة و رائحتها في تكوينها كما وردت الآثار الشريفة أنَّها تخلقت و نضجت. كانت في جنينيّتها تغدق على أمها الأنس والملاطفة، و في مولِدها هي

حوراء إنسية و في حياتها كانت زهراء تُزهِر عهد النبي و في بقائِها هي فيض عليها السلام.

بمعنى: هناك بُعدان في كل الأئمة عليهم السلام بل الإنسانية بل كل عوالم الوجود؛ بُعد شهودي و بُعد غيبي و لكن بعض موجودات هذا الكون تتجسَّد في عالم المادة و في عالم الأرض و الوجود على حساب عالم النَّقاء و الصَّفاء و الشفافية و العلم و هناك من الموجوداتِ مثل الملائكة و الإنسان يعيش عالم الصفاء و النقاء و السلام و الأمن، هذا الموجود كلمَّا تجرَّد عن عالم الأرض كلما قرُبَ من عالمِ السَّماءِ والغيب والنورو الهداية. والإنسان في مراحل الكمال تنقلهُ متطلبات الأرض.

الطريق الجمالي للمرأة في السلوك

في الجنس الأنثوي خصوصية في السير والسلوك، و الزهراء عليها السلام نموذجاً واضحاً بيّناً لهذا المعنى. إنَّه يستطيع أن يسير في طريقِ التفاهم و التفاني بطريقة أسهل و أسرع. كما ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: (عقول النساء في جمالهن وجمال الرجال في عقولهم) أي أنّ طريق المرأة طريق الجمال و طريق الرجل طريق الجلال، بمعنى أنَّ المرأة و هي الزهراء عليها السلام في نموذجها الأتمّ نموذج بيّن وسهل.

طبيعة هذا الكائِن الذي ينطوي على كَمّ هائِل من المشاعرِ و الأحاسيس، هذا المفهوم يسير في إتجاه الحق فالمرأة الصالحة لا تُقدّر بالذَهب و لا الدينار لأن المرأة الصالحة خير من

الذَّهب و الفضَّة و كما ورد في الروايات أنَّ المرأة الصالحة خير من ألف رجل صالح؛ و ذلكَ لأن صلاح المرأةِ يكون صلاح ناصع نقي و رقيق. فالمرأة تسير في طريق السَّلام و المحبة. كما أن دور المرأة و مهمتها صعب وهو جهاد إنّ انتصار المرأة في جهادها يكمن في تذللها وهذه خاصية إلهية أعطاها إياها الله سبحانه، تستطيع أن تحقق به الفلاح في الدنيا والآخرة، كما تستطيع المرأة أن تخلق في بناء الأسرة بل بناء المجتمع حالة من الأمن و الإطمئنان مهما كانت الأوضاع صعبة. المرأة وظيفتها أن تُسهِّل و تُليِّن و تُنوِّر كل هذهِ الصِّعاب الممتدة في الأسرةِ و المجتمع.

جمال مسلك الزهراء عليها السلام في المشروع المحمدي

مثلما جاء رسول الله صلى الله عليه وآله بالكلام اللين والمحبة والتآخِي والتَّواد، هذا الذي خدم الزهراء عليها السلام كنموذج حيثُ استطاعت أن تبلغ مراتب السلام والأمن والمحبة وأن تُصبح هي أمّ أبيها.

أم أبيها بمعنى: هي التي ضحَّت وأعطت وتحملت أعباء صعبة. فعندما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: (إذا اشتقتُ لرائحة الجنة أشم فاطمة)، لماذا يشم النبي صلى الله عليه وآله الزهراء عليها السلام؟ يشمّها لأنها زهرة في الغيب.

مسلك الزهراء عليها السلام هو الملاذ لإنسان اليوم

إذاً خصوصية الزهراء وخصوصية الأنثى الرِّقة والطيب ولذا هي أم أبيها وهي التي تُقدِّم للرسول صلى الله عليه وآله السَّكَن والطمأنينة

و تضفي على روح الرسول ﷺ الأمن و السلام و السكينة كما تضفي الأم على ابنها و فلذة كبدها حالة من السكينة بغض النظر عن المأكل و المشرب و المأمن، فنبضات قلبها تتفاعل و تُشعره بالأمن. هذهِ هي مهمة المرأة و هي مهمة في غاية الخطورة و خصوصاً في هذا العصر عصر الفتن و الإضطراب، حيثُ أنَّه لن تبلغ بالإنسانية القدرة التدميرية مابلغتهُ اليوم، و لو وُضعت حرب عالمية ثالثة كانت بلا شك سوف تُحدث من الدَّمار البشري ما لم تُحدثه كل الأحداث في تاريخ الانسانية المُنصرِم.

الإنسان اليوم يبحث عن السكينة في ظلِّ هذه المتفجرات و القنابل و الصواريخ، يبحث عنه في بناء الأسرة و المجتمع وبناء المرأة باحثاً عن الأمنِ و السلام. اليوم نحنُ ندعو

إلى ثورة و نهضةٍ إنسانية تأخذ برايتها لبناء الإنسان القويم و بناء الأسرة و المجتمع القويم و بناء المحبة الصحيحة و بناء الروح الإنسانية الصحيحة ليس فقط بناء القنابل و المصانع.

من هنا فقط! نؤكد المسيرة التي يسير عليها مجتمعنا في إخراج المرأةِ من بيتها و من تعليمها إلى الشارع العام و إلى المصانع. و لا نُعارض خروجها في شأن احتياجاتها كما في خروجها لأجلِ التعليم الذي هو من ضروريات الدين و أولويات المذهب. أمَّا في قيادة المرأة لا أحد يشك في جواز قيادة المرأة للسيارة و لا يوجد فقيه يُحرِّم قيادتها للسيَّارة فضلاً عما نقول أنَّ لها الحق أن تجري في سباق كما يحصل في بعض الدول، لكن ما يجري في مجتمعنا ليس مجرَّد سباق و إنَّما إخراج المرأةِ من عِفّتها و من

دورها! نعم يجب على المرأة أن تكون نشِطة و قوية و أن تدخل في كلّ الميادين العسكرية و الإجتماعية بعقلها و قلبها و روحها و إبداعها و يجب عليها أن تُساهم في الحِراك الإجتماعي و لكن من منطلق بناءِ الأساس (يبقى المُحتَّم هو أن المرأة ربَّة المنزل و هي الأم و الزوجة العفيفة الرقيقة و الجميلة) التي تُهيّء للإنسان و للمجتمع السَّكَن والحُب و السَّلام. إنَّ مكنون المرأة و إبداعها كلّه عن السلام و المحبة في هذا الظرف اللطيف العفيف، حتى في النشاطات الإجتماعية -الأهلية-الميدانية و السياسية، أمَّا أن نُخرج المرأة من هذا الواقع فإنّ في هذا مهلَكة المرأة والأسرة والمجتمع. كما يفعل الإنسان اليوم الذي ذهب إلى أقصى ما يُمكن أن يذهب إليهِ الإرباك البشري تحت عنوان: التنميةِ

البشرية و هذا نهاية المطاف. هناك مشاريع و اتفاقيات دُولية اليوم تحت عنوان التنمية المُستدامة (فاو) و هو مصطلح دولي وقَّعَت عليهِ كل الدول الإسلامية ما عدا مجموعة قليلة عام ١٩٧٩ _ ١٩٨١م على أن تسير الإنسانية بهذا الإتجاه إقتصادياً- ثقافياً و تعليمياً. و تم طرح حقوق المرأة تحت هذهِ المظلَّة، هُناك منهجية إنسانية عامة تُريد أن تأخذ الإنسان إلى مسارها المنحرف، و المنقذ من ذلك: هو المعرفة العميقة لمحمد و آل محمد و أخذ نموذج الزهراء عليها السلام معياراً للسلام، ولبناء الانسان.

و الحمدلله ربِّ العالمين و صلى الله على محمد و آله الطيبين الطاهرين.

المراجِع

- القرآن الكريم
- نهج البلاغة

١. الاحتجاج، أحمد بن محمد الطبرسي، نشر المرتضى، مشهد، ١٤٠٣ ق.

٢. الأمالي (للصدوق)، محمد بن علي ابن بابويه، طهران، ١٣٧٦ هـ ش.

٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر بن محمد تقي المجلسي

(ت١١١٠هـ)، الناشر: مؤسسة الوفاء، بيروت.١٤.

٤. تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١٠هـ ق.

٥. الجواهر السنية في الأحاديث القدسية، محمد بن حسن الحر العاملي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٦. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)، تحقيق: مصطفى أديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٤، ١٤١٠هـ.

٧. الكافي، أبوجعفر ثقة الإسلام محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٩هـ)، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، سنة ١٣٦٥هجري شمسي.

٨. كشف الغمّة، علي بن عيسى أربلي (٦٩٢ ق)، الناشر: بني هاشم، تبريز، ١٣٨١ق.

٩. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله، لناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ١٤١١ق.

١٠. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، دار الحديث، ١٣٨٤ ش.

١١. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن حسن الحر العاملي، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، قم، ١٤١٦ق.

المحتويات

[١] الحوراء الإنسيّة ٥

المراد بالحوراء ٩

بعض جوانب الغيب في شخصية الزهراء عليها السلام ١١

١/ إنها فاطمة عليها السلام ١١

٢/ الطّاهرة ١٣

٣/ المُصطفاة المرضيّة ١٤

مناهج دراسة الجانب الغيبي للزهراء عليها السلام ١٤

الزهراء الإنسية ١٧

الزهراء عليها السلام: النموذج الأتم للمرأة المسلمة ٢٠

[٢]موقع المرأة في البناء الإنساني ٢٩

الانسان هو سرّ الوجود..... ٣٠

موقعية المرأة والرجل في البناء الإنساني ٣٥

الكمال الأنثَوِي..... ٣٨

[٣] آفاق من العطاء الفاطمي ٤٢

سبب نزول سورة الكوثر..... ٤٣

لماذا الزهراء عليها السلام هي الكوثر؟ ٤٤

١/ تطلعات البدن و الروح ٤٤

٢/ الروح لا تكتمل إلا بالهادي الخبير ٤٦

٣/ الزهراء عليها السلام هي الخبيرة بواقع التشيع المطلوب على المستوى الشخصي و الأُسَري ٤٨

٤/ الزهراء عليها السلام هي الخبيرة بواقع التشيُّع المطلوب على المستوى الإجتماعي.....٥١

٥/بعض آفاق تجلي كوثريّة الزهراء عليها السلام في المحشر ٥٢

[٤] الزهراء كوكبٌ دُرّي ٥٥

١/ ما معنى (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض)؟.....٥٦

٢/ العلاقة بين نورانية الله و نورانية الزهراء عليها السلام ٥٩

٣/ الزهراء عليها السلام حجة الله ٦١

وقفة تأمل مع بعض الإتجاهات التي تتصدَّى إلى معالجة واقع المرأة اليوم.....٦٣

الزهراء هي النموذج الأمثل و الحي..... ٦٤

٤/ أبعاد حجيَّة الزهراء عليها السلام ٦٤

١/ البُعد الإجتماعي و العِلمي..... ٦٤

٢/ البُعد العبادي و المعنَوي ٦٦

٣/ البُعد الأُسَري..... ٦٦

٤/ البُعد العاطِفي ٦٧

[٥] المرأة و السير إلى الله..... ٧١

١/ كل الوجود مُبرمج على القرب من الله..... ٧٢

٢/ الإنسان خليفة الله..... ٨٠

٣/ الحركة التكاملية للذكر و الأنثى..... ٨٦

[٦] كيف نثبُت على طريق فاطمة عليها السلام حتى الشهادة؟..... ١٠١

١/ تأطير المفاهيم الإسلامية هي المانع الأساس في ثبات الإنسان على الحق..... ١٠٣

٢/ مفهوم الشهادة في المنظومة الإسلامية..... ١٠٨

الشهادة مفهوم حي نابض و مؤثّر ١١٣

٣/ طريق فاطمة عليه السلام و مقاماتها العالية..... ١٢٢

أيهما أعظم في آفاقه : الإنسان أم العالم؟ ١٢٧

مقام الشهيد فوق أُطُر العالم الدنيوي..... ١٣٢

الجزاء الدنيوي و الأخري في سيرة فاطمة عليها السلام ١٣٦

[٧] الطريق إلى إدراك مقامات الزهراء عليها السلام ١٤٠

١/ مقام الزهراء عليها السلام لا تدركه العقول ١٤١

٢/ الزهراء عليها السلام : موجود إستثنائي..... ١٤٣

طبيعة فهم النساء و سلوكهُنّ ١٤٦

٣/ الزهراء عليها السلام بين إدراك مقام النبوة و تعظيمه ١٥١

[٨] الزهراء عليها السلام كمال و مسؤوليات ١٥٦

١/ الزهراء أُم هذه الأمة ١٥٨

٢/ أمومة الزهراء أمومة أُمميّة أُخروية ١٦٠

٣/ مسؤولية الزهراء عليها السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله ١٦٣

قيمة كل موجود بمقدار هَمِّه ١٦٨

٤/ مسؤولياتنا بإزاء النموذج الإنساني الفاطِمي ١٧٢

٥/ الزهراء و مدارج العروج الإنساني ١٧٤

[٩] السيدة الزهراء عليها السلام و يوم المرأة العالمي ١٧٩

موقعية المرأة في النهضة الإجتماعية ١٨٠

العلم : هو معيار التفاضل البشري ١٨٠

بعض آفاق علم الزهراء عليها السلام ١٨٣

إطلالة على العالم المعاصر ١٨٦

كيف يجب أن تكون المرأة اليوم؟ ١٨٧

موقعية الزهراء عليها السلام في التاريخ البشري ١٩٠

[١٠] قراءة في شخصية الزهراء و الوضع الراهن ١٩٢

تعريف الزهراء عليها السلام للدور الأساسي للمرأة ١٩٧

عناصر أربكت التركيبة الأسرية في العصر الراهن..... ٢٠٢

١/ العنصر الثقافي..... ٢٠٢

٢/ العنصر الإقتصادي..... ٢٠٤

الزهراء نموذج محكم عند انتشار المتشابهات..... ٢٠٦

[١١] آفاق الزهراء عليها السلام في الفِكر البشري ٢١٢

١/ أُفُق الزهراء عليها السلام في عالم الغيب..... ٢١٣

٢/ أُفُق الزهراء عليها السلام في عالم الأرض..... ٢٢١

٣/ أُفُق الزهراء عليها السلام ومنهجها المُحكم ٢٢٧

[١٢] الزهراء و ليلة القدر ٢٣٦

ماذا تعني ليلة القدر؟..... ٢٣٧

من هيَ فاطمة الزهراء عليها السلام ؟ ٢٣٧

الطريق الجمالي للمرأة في السلوك ٢٣٩

جمال مسلك الزهراء عليها السلام في المشروع المحمدي..... ٢٤١

مسلك الزهراء عليها السلام هو الملاذ لإنسان اليوم ٢٤١

المراجِع ٢٤٦